

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم اللغة والأدب العربي
ميدان اللغة والأدب العربي



جامعة عمار ثليجي - الأغواط -
كلية الآداب واللغات

تفاعل الثقافات واثرها على الأدب الاندلسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر
تخصص: أدب عربي قديم

تحت إشراف:
الدكتور: قاسم عبد الرحمان

إعداد الطالبة:
❖ بن غريقة إيمان

لجنة المناقشة:

التوقيع	الصفة	الرتبة العلمية	الاسم واللقب
	رئيسا	استاذ محاضر -أ-	د/علي لخضاري
	مشرفا و مقورا	استاذ محاضر -ب-	د/قاسم عبد الرحمان
	مناقشا	استاذ محاضر -أ-	د/معمري عبد القادر

العام الجامعي: 2025/2024

شكر وعرفان

من لا يشكر الناس لا يشكر الله

أتقدم بخالص الشكر والتقدير

إلى أساتذتي الافاضل في مادة اللغة العربية

وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: **قاسم عبد الرحمان**

الذي كان خير سند ورفيق في مساري البحثي وواكبني خطوة

بخطوة وكان لتوجيهاته النيرة بالغ الأثر في انجاز هذا العمل

كما لا يفوتني أن ابر عن عظيم إمتناني

لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي لما بذلوه من جهد في

سبيل تبليغ رسالتهم العلمية على أكمل وجه .

وعلى وجه الخصوص الاستاذ الكريم : **بلعجال عبد القادر**

الذي كان لجهوده ودعمه الأثر البالغ

في الوصول إلى هذه المرحلة من التقدم والاجتهاد

إيمان

إهداء

إلى من سهرت الليالي ، وتعبت علي سنين طوال
إلى من غرست في قلبي حب العلم والمثابرة من أجل تحقيق الأحلام
إلى شمعة دربي " أمي "

وإلى من جاهد عواقب الدنيا ، وتحمل كدرات الزمان ،

إلى من دفع الغالي و النفيس ليراني في أعلى المراتب

إلى من ختم اسمي باسمه نبض قلبي " أبي "

إلى إخوتي الأعزاء من الكبير إلى الصغير

أنتم سندي و مأمني في دروب الحياة ...لكم جميعا أهدي ثمرة جهدي
وعملي المتواضع ، عربون حب و امتنان لا ينتهيان.

ايمان بن غريقة



فهرس المحتويات

الصفحات	العناوين
	شكر وعرهان
	إهداء
	الملخص
	فهرس المحتويات
أ-ت	مقدمة
المدخل	
05	✓ تعريف الأدب الأندلسي
08	✓ الخصائص العامة للشعر الأندلسي
09	✓ خصائص النثر الأندلسي العامة
09	✓ لمحة عن التنوع الثقافي في الأندلس ودوره في تشكيل الأدب
الفصل الأول: أثر الأدب الأندلسي على الآداب العالمية	
14	المبحث الأول : الثقافة العربية والمرجع الخارجي
23	المبحث الثاني : التبادل الحضاري وأثره في تطور الأدب الأندلسي
28	المبحث الثالث : انتقال العناصر الأندلسية إلى أوروبا واسبانيا خصوصا
الفصل الثاني: اثار التفاعل ومظاهره	
37	المبحث الأول: الأدب الأندلسي وديناميكية الشكل
56	المبحث الثاني: الأدب نتاج تراكمي {تأثير وتأثر}
66	المبحث الثالث: الأدب الأندلسي بين التقليد والتجديد {الموشحات والزجل}
84	خاتمة
87	قائمة المصادر والمراجع
ملخص دراسة	

مقدمة

مقدمة:

يا أهل أندلس لله دركم *** ماء و ظل و أنهار و أشجار

بهذه الكلمات الخالدة عبر الشاعر الأندلسي ابن خفاجة عن سحر الطبيعة الأندلسية ، فقد كانت الأندلس يجماها الخلاب وتنوع مناظرها ، جنة الله في أرضه، تسحر العيون، و تسلب الألباب، فلم يكن الجمال ليمر على الشعراء والكتاب دون أن يلامس وجدانهم و أقلامهم ، فاندفعوا يخلدون في أرقى القصائد و النصوص الأدبية التي صورت لنا هذه الطبيعة الخلابة ، فكانت بمثابة نافذة تطل بالقارئ على مشاهد من الجمال الساحر ، رغم بعد الزمان و المكان . فبمجرد قراءة تلك النصوص ، يستحضر القارئ بعين الخيال صورا لطبيعة الأندلس ، و كأنها ماثلة أمامه ؛ لما تحمله من وصف دقيق وتعبير وجداني أسر ، ونتيجة لهذا الجمال وتلك البيئة الفريدة ؛ ازدهر الأدب الأندلسي فكان مرآة لحضارة متميزة وتجربة ثقافية استثنائية ، تجلى فيها هذا التفاعل الحضاري و التنوع اللغوي الذي طبع هذا العصر بطابعه الخاص

اتخذ الأدب الأندلسي طابعا خاصا يمزج بين الأصالة و الانفتاح، و بين الموروث العربي الإسلامي و التجديد المنبعث من بيئة متعددة الأعراق و الديانات ، و بالتالي أنتج هذا الامتزاج منظومة أدبية زاخرة بألوان الإبداع شعريا ونثريا، وعبر عن واقع اجتماعي و فكري لا نظير له في باقي أقطار العالم الإسلامي.

ومن هنا وبعد كل هذا ؛ تبادر إلى أذهننا عدة تساؤلات نصيغها في الإشكالية التالية :

كيف تشكل الأدب الأندلسي بوصفه نتاجا لحركة تفاعلية داخلية و خارجية ؟ وما مدى تجليه كجسر بين التراث العربي و التأثيرات العالمية ؟

إن اختيار هذا الموضوع الذي جاء بعنوان الأدب الأندلسي تفاعل الثقافات و الأثر الأدبي لم يكن بمحض الصدفة أو اختيارا اعتباطيا، بل جاء نتيجة دوافع ذاتية و موضوعية تضافرت لتوجيه اهتمامي نحو الأدب الأندلسي.

فمن الناحية الذاتية: فقد شعرت بضعف إلمامي بهذا الأدب وتفاعلاته الثقافية المتنوعة ، الأمر الذي دفعني إلى اختياره موضوعا للدراسة ، رغبة مني في التعمق فيه و اكتشاف أبعاده الفنية و الفكرية .

وكلما تقدمت في البحث ازدادت يقينا بأنني كنت أجهل الكثير من جماليات هذا الأدب و ثراه ، مما زادني حماسا لمواصلة التعمق في فهم خصوصياته .

أما من الناحية الموضوعية : فقد فرض الموضوع نفسه من خلال أهميته التاريخية و الأدبية ، فقد برز الأدب الأندلسي كونه نموذجا حيا لتعايش الثقافات و تفاعلها رغم التنوع اللغوي و الديني ، مما نتج عن ذلك أثر أدبي واضح و فريد من نوعه تجاوز الحدود الجغرافية للأندلس . كما أن قلة الدراسات التي تناولت هذا الأدب من زاوية التفاعل الثقافي و الأثر المتبادل مع الآداب الأخرى، فهذه الأسباب شكلت دافعا قويا للمساهمة في سد هذا الفراغ المعرفي من خلال هذه الدراسة .

وكأي دراسة أو بحث يمكن أن تكون صعوبات إما أن تكون عائقا و إما أن تكون حافزا لمواصلة هذا البحث ؛ ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة : أبرزها غزارة المادة العلمية و تشعبها الأمر الذي استوجب الاختيار و التكتيف دون الإخلال بجوهر المضمون ، إضافة إلى اتساع رقعة البحث ، مما تطلب منا مجهودا مضاعفا و تركيزا كبيرا ، على الجوانب الأهم و الأكثر دلالة ضمن حدود الصفحات المخصصة.

أما أهداف هذا البحث فكانت في: الكشف عن مظاهر تفاعل الثقافات في الأندلس ، و أثر هذا التفاعل في تشكيل البنية الأدبية و الفكرية للأدب الأندلسي ؛ و أيضا إبراز الخصوصية الأدبية للأدب الأندلسي من خلال تتبع التأثيرات المتبادلة بينه وبين الآداب العالمية .

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يقوم على وصف الظواهر الأدبية و الثقافية المرتبطة بالأدب الأندلسي و تحليلها تحليلا دقيقا للكشف عن أبعاد التفاعل الثقافي و أثره في تشكيل النتاج الأدبي.

وافتحنا مذكرتنا بمدخل تمهيدي تناولنا فيه الأدب الأندلسي، فقمنا بتعريفه والتوقف عند أبرز مراحلها التي مرّ بها، بدءًا من مرحلة التقليد الصرف للأدب المشرقي، مرورًا بمرحلة التجديد والإبداع، وصولًا إلى مرحلة النضج والازدهار. كما أشرنا بإيجاز إلى مظاهر التنوع الثقافي في الأندلس، وما تركه من أثر عميق في تشكيل ملامح الأدب الأندلسي وتطوره. ثم قسمنا دراستنا إلى فصلين نظريين، سعينا من خلالهما إلى الإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه.

أما الفصل الاول وعنوانه أثر الأدب الأندلسي على الآداب العالمية ، ومن خلال هذا الفصل حاولنا اكتشاف كيفية تأثير هذا الأدب على الآداب الأوروبية وانقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث جاءت كالتالي:

المبحث الأول: الثقافة العربية و المرجع الخارجي

المبحث الثاني: التبادل الحضاري و أثره على الأدب الأندلسي

المبحث الثالث: أثر الأدب الأندلسي على أدب أوروبا

بحيث جاء الفصل الثاني بعنوان الأدب الأندلسي و الثقافة الداخلية في الأدب القومي ، انقسم إلى ثلاثة مباحث جاء المبحث الأول بعنوان: الأدب الأندلسي وديناميكية الشكل، و المبحث الثاني بعنوان الأدب نتاج تراكمي (تأثير و تأثر)، و المبحث الثالث بعنوان: الأدب الأندلسي بين التقليد و التجديد (الموشحات و الأزجال).

و أخيرا أنهينا دراستنا بخاتمة لخصنا فيها مضمون الدراسة على شكل نقاط .

وفي هذا المقام ، لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر العميق للأستاذ المشرف قاسم عبد الرحمان الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و ملاحظاته القيمة التي أثرت هذا العمل.

ختاما ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا في إيصال الفكرة بدقة و موضوعية و أن يكون هذا العمل المتواضع لبنة في صرح الدراسات الأدبية التي تسعى إلى قراء التراث العربي في ضوء معطيات العصر و احتياجاته.

المدخل

تعريف الأدب الأندلسي :

يعد الأدب الأندلسي من أرقى وأبرز الفروع الأدبية التي نشأت في ظل الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس ، فهو عبارة عن مرآة تعكس البيئة الثقافية التي امتزج فيها الموروث العربي الإسلامي بالأدب الإسباني والغربي ، كما أن هذا الأخير شهد ازدهارا استثنائيا حيث تميز بتنوع أغراضه وعكس روح الترف والرفاهية التي عاشها أهل الأندلس ، فعلى ضوء ما سبق يمكننا أن نعرف الأدب الأندلسي على أنه ذلك الأدب الذي كتب ووثق إبان الحكم العربي الإسلامي في بلاد الأندلس بألوانه المتعددة من رسائل ومقامات وأزجال وموشحات ، وبشقيه الشعري والنثري ، وقد ظهر هذا الأخير منذ ظهور بلاد الأندلس " عام 92 هـ/ 711 م ، وحتى سقوط غرناطة 897 هـ/ 1492 م" ، وقد أقام العرب في بلاد الأندلس حوالي 8 قرون ففتحت أمامهم آفاق جديدة ووفرت لهم ظروفًا مختلفة تماما على ظروف التي عاشها المشاركة سابقا، فلم يكن بد من تأثر الأدب الأندلسي بهذه الحياة الجديدة وبيئتها ، وقد مر الأدب الأندلسي بثلاث مراحل جاءت كالتالي :

المرحلة الأولى : مرحلة التقليد الصرف:

وتمتد طيلة العهد الأموي وتستغرق حوالي 3 قرون : تميزت هذه المرحلة بالمحاكاة والتقليد سواء على مستوى الشكل أو المضمون وهذه نتيجة منطقية تعكس مدى ارتباط الشعراء والكتاب بأوطانهم فكانت بلاد الشام ، ونجد، و اليمن الملهم الأول للأديب الأندلسي كأمثال الحجازي واليميني والشامي والعراقي وغيرهم الكثير، ثم ظهر جيل جديد حذا حذو سلفهم فنظموا أشعارهم على نحو من سبقوهم والتزموا بالأوزان والأغراض والمعاني، فرما الفترة الزمنية لم تكن كافية لأن تجعلهم يتخلصون من القيود وهذا ما انعكس على أشعارهم وكتابتهم؛ عرف بعد ذلك الأدب الأندلسي تطورا ملحوظا فمن غير المنطقي أن يظل تقليدا صرفا على مدى ثلاثة قرون ، ولولا تمسك شعراء الأندلس بالمحافظة على التقاليد القديمة لكان لتناجهم طابع أكثر تميزا، ومع ذلك فإن غالبية ما استلهموه من شعراء المشرق كان مستمدا من النماذج الضعيفة، بينما أبع المتميزون منهم في محاكاة

روائع الشعر المشرقي كشعر أبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبي طيب المتنبي ... وغيرهم من قمم شعراء المستشرقين في تلك الفترة الزمنية.¹

المرحلة الثانية: انتقال الأندلسيين من التقليد إلى التجديد :

وهي مرحلة انتقال من التقليد إلى التجديد، حيث أدرك الأندلسيون خلالها شخصيتهم وتحقق لهم التأثير الفعلي بالبيئة الأندلسية وأنماط الحياة فيها، كما تعمقت جذور الثقافة في أراضيهم . وهي مرحلة انتقال من التقليد إلى التجديد ، حيث أدرك الأندلسيون خلالها شخصيتهم وتحقق وهكذا ظهرت ملامح التجديد في كل من الشعر والنثر من غير أن يزول التقليد زوالاً نهائياً وابرز المظاهر التجديد في شعر الأندلس إبان تلك الفترة الواقعة بين أوائل القرن الخامس الهجري وأواخر القرن السادس هجري تتجلى في:

°**أولاً:** العناية بالشكل: فقد فهموا بأن الشعر عملية غنائية فنية أكثر من عملية فكرية، فصرفوا اهتمامهم إلى الموسيقى والألفاظ ورشاقة التعبير وخفة الوزن .

°**ثانياً:** الإقليمية: ومفادها أن الأندلس من الأجيال المولدة نسوا أوطان آبائهم وأجدادهم وراحوا يصفون بيئتهم وما فيها من خصب وجمال ومستحدثات حضارية وتعلقوا بها تعلقاً زاده حدة ما كانوا يلقونه من عيون تفتتح على تلك الجنان و أطماع تمتد إلى معاقل العرب في الأندلس وهكذا سادت شعر الأندلسي إقليمية واضحة المعالم؛ فإذا الشاعر ينفع أشد الانفعال لمراى الأرض التي ترعرع عليها وتكونت ذكريات الصبا والشباب بين حناياها، في فينطق لسانه بغناء عذب رقيق يصور لنا مفاتن البلاد ومحاسنها على نحو ما نرى في الشعراء ابن حمديس، ابن عبدون، ابن خفاجة ، لسان بن الخطيب، ابن زيدون ،ابن عمار والمعتمد بن عباد وسواهم.²

ثالثاً : الموشحات من اختراع أهل الأندلس: وهي شعر جديد يختلف تمام الاختلاف عن القصيدة الكلاسيكية في أوزانه وقوافيه وشروط تركيبه، وإن كان لا يختلف عنها في موضوعاته، ولقد وضعت

¹ مقرر أدب أندلسي، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي ، جامعة أم القرى ، كلية الآداب بجامعة القنفذة ، لطلاب برنامج الانتساب الفصل الجامعي الأول 1439هـ ، ص 8 بتصرف.

² المرجع نفسه ص 9 بتصرف .

الموشحات للغناء واستخدمت في شتى الأغراض ، لكن أبرز ما عنيت به الخمریات والغزل ووصف الطبيعة ، وهذه الموضوعات متصلة ببعضها البعض في حياة الأندلسي¹ . في هذه الفترة، اتبع الحكام وملوك الطوائف نهج المشاركة في الاهتمام بالدواوين واستقطاب أصحاب الأقاليم المبدعة والمهارات الأدبية الرفيعة للعمل فيها . وقد أدى ذلك إلى تطور فن الكتابة واهتمام الكتاب بتحسين جودة إنشائهم، مما جعل النثر في الأندلس يحظى بمكانة رفيعة وارتفعت قيمة الكتاب، حيث تولوا مناصب مرموقة، حتى وصل بعضهم إلى الوزارة كما فعل نظرائهم في المشرق . فقد تولى ابن حزم الوزارة للأمويين، بينما شغل لسان الدين ابن الخطيب منصب الوزير للملوك في غرناطة ، وكان ابن زيدون وزيرا لبني جهور، وفي هذا العصر ازدهرت المؤلفات النثرية التي تناولت مواضيع متنوعة مثل اللغة والأدب ، والدين، والتاريخ والفلسفة والعلوم ، بالإضافة إلى الشؤون السياسية والعسكرية.

أما أبرز مميزات النثر الأندلسي، فالأناقة والترسل والعناية بالإخراج والأساليب والحرص على السمو والتفنن في استخدام ألوان الكلام والتوفير.

المرحلة الثالثة :

هي المرحلة الأخيرة من نهضة الأدب الأندلسي ، حيث بلغ فيها ذروته شعرا ونثرا ، وقد رافق في ذلك ازدهار الحركة الفكرية ونهضة العلوم والمعارف . أما الشعر ، فقد تحرر من المشاركة كل التحرر ، وصار له أساليبه وفنونه المستمدة من الحياة الأندلسية الخاصة ، كشعر الموشحات وشعر وصف الطبيعة والشعر الوجداني ورتاء المماليك الزائلة والاستنجد... إلخ²

¹ المرجع نفسه ص 10

² المرجع نفسه ص 10

خصائص الأدب الأندلسي:

وبعد أن استعرضنا نشأة الأدب الأندلسي وتطوره ، وأبرز المراحل التي مر بها حتى وصل إلى شكله المزدهر آنذاك ننتقل الآن إلى استعراض خصائصه العامة في كل من الشعر والنثر ، مسلطين الضوء على أهم سماته :

الخصائص العامة للشعر الأندلسي:

أبدع الأندلسيون في جوانب كثيرة من الشعر الأندلسي، كوصف الطبيعة، ورتاء المدن الزائلة ، الاستنجاد ، الاستغاثة ، الاستعطاف، كما تفننوا في استعمال الألفاظ، فاخترعوا ألفاظا جديدة معربة تتناسب وحياتهم الغنائية ، واجتهدوا في اختيار الحروف والكلمات، التي تؤدي إلى الانسجام الموسيقي ، وهذه الظاهرة لم يسبقهم أحد إليها من قبل.¹

تميز الشعراء الأندلسيين بإبراز جوانب متعددة في شعرهم، مثل وصف الطبيعة وذكر المدن والزمن، إلى جانب استخدامهم أساليب تعتمد على الاستعارة والاستلطاف، كما لجؤوا إلى الفاظ جديدة تحمل نغما يتناسب مع موسيقى القصيدة، وبذلوا جهدا كبيرا في انتقاء الحروف والكلمات لتحقيق الانسجام الصوتي، وهو ما يعرف بالتناغم الذي أشار إليه بعض النقاد، وقد اتسم الشعر الأندلسي بركة تعبيره، وتصويره للمشاهد الطبيعية بإيجازات رقيقة، واختياره للألفاظ ذات الظلال المعنوية التي تساعد في نقل صور الطبيعة ومشاعرها إلى القارئ، فجاءت عباراته مشبعة بالإيقاع الموسيقي الذي أضفى على القصيدة لمسة فنية متميزة تجمع بين الطرب والتأمل ، وكان لكل شاعر طابعه الخاص ، دون تقليد أو تكلف مما أضفى على أسلوبهم جزالة وبساطة في آن واجد، فكانوا يحرصون على تناغم الجملة وجمالها من جهة وعلى عمق المعنى من جهة أخرى، كما تأثروا بالفكر الفلسفي خصوصا في نظرتهم للطبيعة والكون، وهو ما انعكس في أوصافهم وتشبيهاهم.²

¹ نميش أسماء ، الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوربي القديم شعر التروبادور أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ، جامعة الجليلي ليايس ، سيدي بلعباس ، 2015/2016 ص 24.

² المرجع نفسه ص 25 ، بتصريف.

خصائص النثر الأندلسي العامة :

شهد النثر في العصر الأندلسي تطوراً في أساليبه النثرية، فقد برع الأدباء في هذا الفن، لما له من أهمية في المجال السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي، إذ كانت وسيلة للتواصل والتخاطب آنذاك؛ فكانت موازية للشعر في التعبير عن العواطف والتنافس في القدرات الفنية والقدرات الأدبية، فاستمت بحسن الديباجة، والسبق وجودة النظم، وما يميز خصوصيتها هو الوضوح، ودقة المعنى، واشتمالها على ثقافة واسعة " وقد تعددت الأشكال النثرية فانقسمت إلى رسالة وخطبة مكتوبة ومقامة، وكانت أهم ظاهرة تتخللها جميعاً هي اشتداد روح السخرية، ومنح الموضوعات الصغيرة التافهة شكل الموضوع البطولي الجاد، وجرت جميع تلك الأشكال النثرية في أكثر الأحوال على نظام السجع وعلى التفنن في ضروبه...".¹

لمحة عن التنوع الثقافي في الأندلس ودوره في تشكيل الأدب:

شهد المجتمع الأندلسي الذي أسسه المسلمون والعرب في شبه الجزيرة الأيبيرية تعدداً وتنوعاً ثقافياً وحضارياً وعرقياً متميزاً، فقد تكون ذلك المجتمع من خليط من الأعراق والثقافات التي تفاعلت مع بعضها في مستويات مختلفة وأثرت وتأثرت ببعضها على نحو كان ظاهراً في بعض الأحيان، وكان خفياً في أحيان أخرى، وتشير المصادر التاريخية الإسلامية والأوربية وغيرها إلى أن هذا المجتمع تكون من عدة قوميات أبرزها:

"العرب الذين كان أولهم من القيسية واليمينية، ثم توالى تدفق العرب من القبائل الحجازية والشامية والعراقية والمصرية وغيرها، وقد رافقهم أيضاً مجموعات مختلفة من الموالي الذين كانوا يتبعون تلك القبائل وإلى جانب العرب تدفق عدد كبير من البربر من زناتة وصنهاجة وغيرها من مناطق شمال أفريقيا".²

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، ط1، سنة 1997م، ص 225 بتصرف.

² أحمد رحاحلة، أثر التنوع الثقافي في الأندلس على فن الموشحات الأندلسية، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 48، العدد 4، 2021، ص 302.

وبرز كذلك الصقالبية الذين كان أغلبهم من أسرى الحروب التي وقعت بين الجرمان والسلافيين ، بعد أن حملوا إلى الأندلس وتم بيعهم فيها، وتزايدوا مع امتداد العصر الأندلسي ومن العناصر الأساسية أيضا في هذا المجتمع النصارى من سكان البلاد الأصليين والذين فضلوا البقاء في بلادهم والعيش تحت الحكم الإسلامي ، وكذلك نجد فئة المولدين ، وهم النصارى الذين ولدوا في ظل الحكم الإسلامي واعتنقوا الإسلام إلى جانب أبناء العرب والبربر الذين كانت أمهاتهم إسبانيات ، ونجد اليهود الذين عاشوا في الأندلس قبل الحكم الإسلامي وساعدوا المسلمين في الفتوحات الأولى بعد المعاناة التي لحقتهم من الرومان، والفئة الأخيرة هي فئة الأعاجم كان من أشهرهم الفرس.¹

وقد أسهم هذا التداخل بين الثقافات في ظهور منظومة تفاعلية جديدة ، أثمرت في كثير من الأحيان عن حراك ثقافي وحضاري مثمر ، تجسد في تبادل التأثيرات بين مختلف الأطراف ؛ هذا التفاعل ساعد على نمو وتطور المجتمع الأندلسي، وأنتج تجربة إنسانية فريدة من نوعها تستحق الدراسة . ولهذا التنوع الثقافي دور هائل في تشكيل عناصر الأدب الأندلسي مما أدى هذا التفاعل إلى إظهار أدب متميزا عن باقي أقطار العالم الإسلامي بحيث ظهر في:

التعدد اللغوي والثقافي: بحيث تعايشت في الأندلس عدة لغات كالعربية ، واللاتينية والعبرية والإسبانية القديمة مما أدى إلى خلق تفاعلا لغويا وثقافيا أثر في أساليب التعبير والكتابة، ووسع من آفاق الأدباء.

الانفتاح على الآخر: بحيث أدى التعايش بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود إلى تلاحق ثقافي أثرى الأدب الأندلسي بالمواضيع الجديدة، والتصورات الفكرية المتنوعة ، وطرح مفاهيم إنسانية واسعة كالترسامح والحب والتأمل في الوجود.

تأثير الفلسفة والفكر: بفضل الانفتاح على الفكر الإغريقي والروماني من جهة ، والفكر الإسلامي من جهة أخرى ، نشأ أدب فلسفي راق يمزج بين العقل والنقل، وبرزت فيه موضوعات الحكمة والتأمل ، كما سبق وأن ظهر لنا ذلك في مؤلفات ابن حزم وابن طفيل المتمثلة في:

¹ أحمد رحاحلة ، أثر التنوع الثقافي في الأندلس على فن الموشحات الأندلسية ، مرجع سبق ذكره .

ابن حزم : كتاب " طوق الحمامة" الذي تناول فيه موضوع الحب والعلاقات الإنسانية.

وهناك أيضا كتاب "الأخلاق والسير" الذي ركز فيه على الفلسفة الأخلاقية.

ابن طفيل : كتاب "حي بن يقظان" وهو من أشهر كتباته وهو رواية فلسفية بامتياز.

التأثير الفني الجمالي : بحيث تميز الأدب الأندلسي بجماليات خاصة وكان ذلك نتيجة تأثر الأدباء

بالبيئة العمرانية الأندلسية وطبيعة خلابة ، كما لعب أيضا الغناء والموسيقى الأندلسية دورا في تطوير

الشعر ؛ خاصة الموشحات والأزجال ، وهي أنماط فنية لم تعرفها بقية المراجع الأدبية بنفس الشكل .

الفصل الأول:

أثر الأدب الأندلسي

على الآداب العالمية

المبحث الأول : الثقافة العربية والمرجع
الخارجي.

المبحث الثاني : التبادل الحضاري وأثره
في تطور الأدب الأندلسي

المبحث الثالث : انتقال العناصر الأندلسية
إلى أوروبا وإسبانيا خصوصا.

تمهيد :

يشكل الأدب الأندلسي محطة مفصلية في مسار تطور الآداب العالمية ، إذ لم يكن منغلقا على ذاته بل تميز بانفتاحه على الثقافات المجاورة ، وانخراطه في حوار حضاري امتد بين الشرق و الغرب فكانت هناك عدة عوامل ساهمت في نقل عناصر هذا الأدب الغني في الضفة الأوربية وأبرزها : الترجمة و التلاقح الفكري ، و التعايش الديني ، فقد كانت اسبانيا موطن قدم لهذا التأثير .

ومن هنا فأن الفصل الثاني يسعى إل الكشف عن أوجه التأثير و التأثير بين الأدب الأندلسي و الآداب الأخرى ، و تتبع مظاهر التداخل الثقافي التي أسهمت في إغناء المنجز الأدبي الإنساني و بيان كيف تحولت الأندلس من نقطة استقبال حضاري إلى مركز إشعاع فكري و أدبي عبر العصور

المبحث الأول: الثقافة العربية والمرجع الخارجي

تعتبر الثقافة العربية هي المرآة التي تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية والفكرية عند العرب، وتساهم في توضيح مكونات المجتمع العربي والقيم الأصيلة الخاصة به، وأيضاً تشكل الثقافة العربية منظومة متكاملة من الأسس التي تعمل على تعزيز دور اللغة العربية في نقل الصورة الحقيقية عن الشعوب العربية إلى الشعوب الأخرى .

ترتبط الثقافة العربية بمفهوم الحضارة فعندما نشير إلى الحضارة العربية فأنا نقصد كافة المكونات، والعوامل التي أدت إلى ظهورها، والثقافة واحدة من هذه المكونات المهمة، والتي تعتبر الموجه الرئيسي في بناء الحضارة العربية، والتي اعتمدت على الأدب والفكر العربي في وضع الأساسات الأولى للمجتمعات العربية.¹

أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية:

شغلت الحضارة العربية دوراً مهماً في النهضة الأوربية ، إذ يمكن القول : أن النهضة الأوربية الحديثة ظهرت امتداداً للنهضة العربية الإسلامية ، وقد كان للحضارة الإسلامية عدة معابر مرت بها إلى أوروبا من أهمها الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، كما شغلت الحروب الفرنجية دوراً مهماً كجسر لانتقال العلوم العربية إلى أوروبا.

تعددت المجالات التي أثرت فيها الثقافة العربية على نظيرتها الغربية ومن أبرزها:

مجال الطب والعلوم :

أشاد "هومريوس" في الأوديسا بمهارة الأطباء المصريين وقال "هيردوت" غير مرة: إنهم كانوا يعالجون أنواعاً شتى من الأمراض يختص كل منهم بمرض يبرع في علاجه، وروى أن "قورش" أرسل إلى مصر في طلب طبيب للعيون، وأن دارا كان عظيم الإعجاب بهم، كثير الثناء عليهم. وكان الإغريق يعرفون

¹ مدونات مجد مالك خضر ، الثقافة العربية وتحديات الحداثة ، 22 / 8 / 2016 م ، أطلع عليه بتاريخ : 12 / 05 / 2025 م .
بتصرف .

اسم «أمحوتب» رب الحكمة في مصر القديمة، ويسمونه بلغتهم "أموثيس"، وقد نقلوا عن الطب المصري كثيرا من العقاقير، كما نقلوا آلات الجراحة بغير تبديل.¹

علماء العرب والمسلمين في الطب :

الزهرراوي:

هو الطبيب الصيدلي الجراح أبو قاسم خلف بن عباس الزهرراوي، والمعروف في الغرب باسم البقاسيس أو الزهرافيوس، وُلد عام 936 م في حي الزهراء في الأندلس عاصمة إسبانيا الإسلامية حينها، ويعود أصله إلى شبه الجزيرة العربية إذ جاء أجداده من المدينة المنورة مع جيوش المسلمين التي فتحت إسبانيا.²

أهم اكتشافاته :

◦ جراحة العين والأذن والحنجرة. وصف بالتفصيل استئصال اللوزتين والقصبة الهوائية

◦ قام باختراع أدوات للفحص الداخلي للأذن

◦ قام باختراع أداة تستخدم لإزالة أو إدخال الأشياء في الحلق، ووصف كيفية استخدام الخطاف لإزالة الورم من الأنف، ووصف عملية كشف وتقسيم الشريان الصدغي لتخفيف بعض أنواع الصداع.

◦ استخدم الكي، عادةً لعلاج أورام الجلد أو الخراجات المفتوحة. وقد طبّق الكي على ما يصل إلى 50 عملية جراحية مختلفة.

◦ تطبيق الرباط على الأوعية النازفة والخياطة الداخلية باستخدام خيوط جراحية. سبق الجراح العسكري الفرنسي الشهير أمبرواز باريه (1510-1590)، الذي يُزعم أنه أول أوروبي استخدم الخيوط الجراحية، بخمسة قرون

◦ علاج الناسور الشرجي

¹ عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوربية ، دار النشر : مؤسسة هنداوي ، 2014 م ، ص 33

² سمير عمرو عبد الغني الطباخي ، 2007/05/01 ، أبو القاسم الزهرراوي : رائد الجراحة الحديثة، حوليات الطب السعودي.

° رُكِبَ العظام المخلوعة والكسور. كانت طريقته في رُكِبٍ ورَدِّ خلع الكتف قبل قرون من إدخال كوخر تقنيته المماثلة إلى الطب الأوروبي

° إزالة حصوات المثانة. نصح الطبيب المعالج بإدخال إصبعه في مستقيم المريض، وتحريك الحصوة إلى عنق المثانة، ثم إجراء شق في جدار المستقيم أو العجان، وإزالة الحصوة

° قام باختراع أدوات لفحص مجرى البول

° ويُنسب إليه كونه أول من وصف الحمل خارج الرحم

° قام باختراع العديد من الأجهزة السنية والأسنان الاصطناعية المصنوعة من عظام الحيوانات.¹

ابن سينا :

وُلِدَ ابن سينا عام 980 م في قرية أفشانة بالقرب من مدينة بخارى في آسيا الوسطى، عاصمة مملكة السامانيين آنذاك، في دولة أوزبكستان الحالية. كان والده عبد الله من مدينة بلخ وعمل حاكمًا محليًا لقرية بالقرب من بخارى. كانت والدته امرأة طاجيكية تُدعى سيتارا. لقد أدرك عبد الله أن ابنه كان طفلًا ليس كباقي الأطفال ، بل كان يراه الطفل المعجزة الذي سيتوفق على أقرانه في يوم من الأيام ، لذلك كان حريصًا على الحصول على أفضل المعلمين لابنه العبقري.

في سن العاشرة، أنهى دراسة وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب بحيث كان بارعًا في اللغة العربية وآدابها الكلاسيكية. في سن الثالثة عشرة، بدأ دراسة العلوم الطبية. في سن الثامنة عشرة، أصبح طبيبًا راسخًا وأصبحت سمعته معروفة جيدًا في بلده وخارجها. وتُقل عنه قوله: "إن الطب ليس علمًا صعبًا وشائكًا مثل الرياضيات والميتافيزيقيا، لذلك سرعان ما أحرزت تقدمًا كبيرًا؛ وأصبحت طبيبًا ممتازًا وبدأت في علاج المرضى باستخدام العلاجات المعتمدة".²

1 سمير عمرو و عبد الغني الطباخي (1/5/2007) ، أبو القاسم الزهراوي (البوكاسيس) : رائد الجراحة الحديثة ،. حوليات

الطب السعودي ، أطلع عليه في : (10 / 05 / 2025) بتصرف

2 سمير عمرو ، عبد الغني الطباخي ، 2007 ، ابن سينا أمير الأطباء ، حوليات الطب السعودي اطلع عليه بتاريخ :

(11/05/2025) بتصرف

أبرز إنجازات ابن سينا:

لابن سينا الكثير من الابتكارات التي ما زال يعتمد عليها في الطب الحديث، ومنها :

° ابتكر استعمال كيس الثلج عند الحمى المحرقة (التيفوئيد)، وقد طورت هذه الطريقة فيما بعد بشكل أنابيب.

° حقن الدواء بالإبر تحت الجلد واستعمال التخدير في العمليات الجراحية، ويعدان أهم اكتشافين في الطب الباطني والطب الجراحي

° اكتشف أن الجنين يأخذ مقومات حياته من شريانين في المشيمة، ويرد بطريق واحد متصل بجبل السرة، وهو أول من شرح قلب الجنين وقسمه إلى الأقسام المعروفة في عالم الطب اليوم.

° يعد أول من وصف التهاب السحايا الأولي وصفا صحيحا، واكتشف الشعور واللا شعور، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسية في الشفاء

° اكتشف العدوى وكيفية انتقال الأمراض كالجدري والحصبة، وقال إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جدا لا ترى بالعين المجردة تسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده فان ليوتوك في القرن الـ18 والعلماء المتأخرون من بعده بعد اختراع المجهر

° وصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفا بذلك ما استقر عليه أساطين الطب اليوناني القديم¹

مجال الأدب و الشعر:

في العصور الوسطى، استفاد الأدب والشعر الأوروبي من الأدب العربي والشعر العربي عبر الترجمة، وقد ترجم الأندلسيون وغيرهم من المترجمين الكتب والجداول العربية إلى اللغات الأوروبية، وكانت بعض هذه الترجمات تشمل الأدب والشعر العربي. وكانت الخطب والشعر العربي تحتل حيزا كبيرا من الترجمات، لذلك يمكن اعتبارها نقطة بداية للتفاعل الثقافي بين الحضارات. ومع تطور الأدب والشعر

¹ ينظر موسوعة الجزيرة نت ، ابن سينا .. الشيخ الرئيس الذي صار من أعلام الطب في سن ال 16 ، آخر تحديث : 21 أوت 2023 ، تاريخ الإطلاع : 14 ماي 2025 .

في الغرب، بدأ الأدباء والشعراء في الغرب يتأثرون بالأدب والشعر العربي، وانتقلت الألفاظ والعبارات الشعرية والقصص والأفكار العربية إلى الغرب.

وفي الوقت الراهن، لا يزال الأدب والشعر العربي يشكّلان مصدر إلهام للأدباء والشعراء الغربيين، وهناك ترجمات لبعض الأعمال الأدبية العربية إلى اللغات الغربية.¹

كتب أدبية عربية أثرت في الأدب الأوربي:

كتاب كليلة ودمنة:

وهو في الواقع أثر أدبي ترك بصماته على كثير من الأعمال الأدبية العالمية، وقد اختلف الدارسون حوله، وكانت النسخة العربية التي ترجمها ابن المقفع، وهو من أهل القرن الثاني الهجري مثار دراسات وأخذ ورد، وترجم النص العربي للكتاب إلى السريانية والحديثة والإنجليزية والفارسية الأولى، ثم الثانية والفارسية الهندية والتركية واليونانية والإيطالية والعبرية واللاتينية الوسطى، ثم اللاتينية القديمة والإسبانية القديمة، أما الترجمات الأوربية الأخرى فأكثرها ترجمت عن لغات وسيطة أخذت على النص العربي مباشرة.²

قصة حي بن يقظان :

و في التراث العربي يوجد أكثر من قصة بعنوان (حي بن يقظان) وهي قصة رمزية تدور حول شخص نشأ في جزيرة وحده ، ويتصور علاقته بالكون والدين ، وأول منشأ لقصة (حي بن يقظان) هو الفيلسوف ابن سينا، ثم أعاد كتابتها شهاب الدين السهروردي، وبعدها صاغها من جديد فيلسوف أندلسي ابن طفيل ، ثم كانت آخر رواية القصة بquam ابن النفيس، على أن أشهر مؤلف بين هؤلاء الأربعة هو ابن طفيل، وسبب شهرة الرواية قيل أن قصصا غريبة، مثل قصة (روبنسون كروزو) و (طرزان) قد نسجت على منوالها.³

¹ خلود الفزارية ، " دور الثقافة والفنون العربية في رسم حضارة الغرب " ، جريدة عمان ، 12 مايو 2023 ، تاريخ الإطلاع :

14 مايو 2025

² مناهج جامعة المدينة العالمية ، كتاب الأدب المقارن ، مرحلة الماجستير ، ص 253 بتصرف .

³ المرجع نفسه ، ص 314 .

لذلك قصة حي بن يقظان ليست فقط قصة رمزية ، بل كانت جسرا فلسفيا بين الفكر الإسلامي والعقلانية الأوربية ، ومثلت نموذجا مبكرا لما سمي لاحقا بالرواية الفلسفية، ومهدت لظهور أعمال أدبية وفكرية غربية تتناول الإنسان والعقل والطبيعة بعيدا عن القيود الدينية.

ختاما ، لا يمكن الحديث عن تأثير الأدب العربي في أوروبا دون الإشارة إلى أعمال أدبية أخرى كان لها التأثير الكبير في الوعي الأوربي ونأخذ على ذلك كمثال: ألف ليلة وليلة والتي فتحت آفاق الخيال والسرد القصصي لدى كتاب أوروبا وغيرهم من الكتاب الغربيين، بحيث أثرت في أدب المغامرات والقصص الرمزية ؛ ولدنا أيضا رسالة الغفران للمعري والتي تعتبر من أوائل النصوص الأدبية العربية التي تناولت رحلة خيالية إلى العالم الآخر ، بحيث أثرت هذه الرسالة على الكاتب الإيطالي (دانتي أليجييري) وكتب على شاكلتها " الكوميديا الإلهية " ، إضافة إلى ديوان المتنبي ، الذي أثار إعجاب المستشرقين الأوربيين بقوة لغته وعمق فكره ، واعتبر نموذجا مميزا للشعر العربي الذاتي و الفلسفي .

كل هذه الأعمال ، وغيرها ، ساهمت في نقل صورة جديدة عن العقل العربي وثقافته الأدبية ، وأسهمت في تشكيل ملامح الأدب الأوربي الحديث خلال عصر النهضة وما بعده .

أثر الحضارة الإسلامية في تشكل النهضة الأوربية :

لقد شكلت الحضارة الإسلامية إحدى أبرز الحضارات التي تركت بصمتها في التاريخ الإنساني سواء من حيث غناها العلمي و المعرفي ، أو من حيث امتدادها الجغرافي والثقافي . فخلال العصور الوسطى ، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش فترات من الركود العلمي والظلام الفكري ، فقد كانت المراكز الإسلامية ، لاسيما في المشرق والأندلس اللذان شهدا تطورا علميا غير مشهود، في محاور الطب ، والفلسفة ، و الرياضيات، والفلك ، إلى غير ذلك ...

ومع بداية التبادل الحضاري مع العالم الإسلامي و أوروبا ، خاصة عبر الأندلس و صقلية، بدأت المعارف الإسلامية تتسلل عبر طرق مختلفة نحو الغرب، من خلال الترجمة والتفاعل الثقافي ، لتكون العنصر الفعال المساهم في تمهيد قيام النهضة الأوربية .

وفي هذا السياق ، لا نستطيع الحديث عن النهضة الأوروبية دون أن نشير إلى التأثير العميق الذي مارسته الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات، وقد اعترف بذلك العديد من المفكرين والمؤرخين الأجانب ، الذين أثبتوا أن أوروبا مدينة للعرب والمسلمين بالكثير من ركائز نهضتها العلمية والفكرية .

مراكز ازدهار الحضارة الإسلامية :

نبعت أصول هذه الحضارة في مكة والمدينة وجزيرة العرب عامة ، ثم تعددت مراكزها ، حيث كانت في معظم المدن والعواصم الإسلامية المشهورة، ففي "دمشق" عاصمة الخلافة الأموية : تشكلت حضارتنا بمظاهرها المختلفة في عصر الخلفاء الأمويين، وفي "بغداد" عاصمة الخلافة العباسية : نضجت ووصلت مستوى رفيعا منذ أواخر القرن الثاني بعد الهجرة ، وفي "الأندلس" ازدهرت وانتقلت منها إلى الغرب.¹

طرق انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا:

لم يكن انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا مجرد حدث عابر ، بل كان نتيجة لتفاعلات ثقافية وتاريخية امتدت لقرون ، بحيث كانت هناك عدة وسائل ساعدت في انتقال هاته المعارف والعلوم الإسلامية إلى القارة الأوروبية ، ومن أبرز هذه الوسائل نجد حركة الترجمة، والاحتكاك المباشر في مناطق التماس كالأندلس وصقلية ، إضافة أيضا إلى الحروب الصليبية والتجارة ، التي كانت من أهم القنوات لانتقال هذه المعارف ، ومن خلال هذه الوسائل تمكنت أوروبا من الإطلاع على كل ما أنجزه العالم الإسلامي ، ما شكل أحد الأسس التي مهدت لقيام نهضتها .

أولا: الأندلس

بدأت في الأندلس منذ اللحظة الأولى عملية امتزاج اجتماعي واسع النطاق بين مختلف العناصر التي أصبح الشعب الأندلسي يتألف منها . وكان الجنود الفاتحون الذين استقروا في البلاد وتوزعوا أنحاءها أخلاطا من الأجناس والقبائل القادمين من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، فمن بينهم مجموعة عربية قيسية ويمنية ، وكان معظم هؤلاء من الشام وإن كان فريق منهم من عرب مصر وإفريقية والمغرب، ثم كان الشطر الأعظم من البربر (الأمازيغ) بين بتر وبرانس ، ونتج عن امتزاج هؤلاء بأهل البلاد

¹ سيد عبد الماجد الغوري ، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب ، بحث مقدم في مؤتمر الحج المعاني الحضارية في الإسلام ، 11 ذو

الحجة 1440هـ/الموافق ل12 أغسطس 2019 م ، ص 08

الأصليين أن ظهر جيل جديد عرف باسم المولدين ،ويكمل صورة المجتمع الأندلسي تلك الطائفة التي احتفظت بديانتها المسيحية ،وإن كانت خاضعة للحكم الإسلامي ،وهم الذين عرفوا باسم المستعربين.¹

حكم العرب إسبانيا ما يقارب ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة العربية الإسلامية أوجها ،فكان لها التأثير الكبير على أوروبا ، خاصة عبر طلاب العلم الذين شدوا الرحال إليها من أجل التحصيل العلمي ،حيث مكثوا لسنوات طويلة في الدراسة والتتبع والاطلاع على كتب العرب فيها، فكانت البعثات الأوربية تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى حتى بلغت سنة 312هجرى في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة ،ومنهم الراهب "جربرت الفرنسي" الذي رحل إلى قرطبة طلبا للمعرفة وقضى فيها ثلاث سنوات نهل من خلالها من العلوم العربية ثم عاد بعد ذلك ليتوج "بابا" باسم (سلفستر الثاني) لذلك ساهم في نقل العلوم العربية إلى أوروبا . وقد قام بالدور نفسه مطران مدينة طليطلة " ريموند " الذي عمل مع مجموعة من المطارنة على ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية بعد أن استرد الإسبان المدينة من العرب . وكان أول ما اهتم به هؤلاء المترجمون هو العلوم العربية المنقولة عن اليونانية وذلك أن أوروبا كانت قد أفقرت أو كادت من العلوم وانحصرت بضاعتها العلمية في معلومات جافة وعميقة وضعها مجموعة من رجال الدين.²

ثانيا : صقلية وجنوب إيطاليا : كانت صقلية وجنوبي إيطاليا المعبر الثاني للحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا فعندما فتح أسد بن الفرات صقلية في صيف عام 827 م، كانت حضارة المسلمين في أوج عظمتها ، واتخذ باليرمو(بلرم) عاصمة له، وبقيت الجزيرة تحت السيادة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن (827 / 1091 م) فانسابت إليها ألوان الثقافة والعلوم من العالم الإسلامي ، وقد ترك العرب المسلمين لأهالي صقلية الأصليين عاداتهم وقوانينهم ، وحررتهم الدينية ، وحافظوا على جميع الكنائس التي وجدوها ، واهتموا بالزراعة والصناعة وأنشؤوا مصانع الورق ، وامتدت هذه المصانع من صقلية إلى إيطاليا ، واستخرج العرب الذهب و الفضة و الحديد و الرصاص ، وعلموا أهالي الجزيرة

¹ حسام جميل الناييف ، أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 34 ، العدد الثاني ، 2018 م ، ص162 . بتصرف

² أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية ، منتدى أحلى ، الأربعاء 21 مارس 2012 م ، 12:42 ، تاريخ الإطلاع : 15 مايو 2025 . بتصرف

صناعة الحرير كما اهتموا بالتجارة ، وأخرجت صقلية جملة من العلماء في مختلف المجالات ، من أشهرهم أسد بن فرات والإدريسي صاحب كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، والحسن بن يحيى صاحب كتاب " تاريخ صقلية " وترك العرب أيضا ألفاظا عربية في اللغة الصقلية والإيطالية ، ولا تزال مدن وأماكن كثيرة من صقلية تحمل أسماء عربية ولاسيما أسماء القلاع والمراسي و الشوارع ¹.

ثالثا : حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات اللاتينية :

تمت في العصر العباسي ترجمة كثير من كتب الفلسفة والعلوم من اللغات اليونانية و السريانية والهندية اللغة العربية ، وأصبحت العربية لغة العلم والمعرفة التي تعبر عن أقصى ما بلغته الحضارة البشرية في العصور الوسطى من سمو و رفعة ، وعندما بدأت أوربا تشهد النهضة العلمية فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين ؛ لم يكن عند أهلها خيار غير تعلم اللغة العربية لمعرفة تلك العلوم ، فنقل الغرب الكثير من تلك العلوم من هذه العربية إلى لغاته اللاتينية ؛ لاسيما أيام الحكم الإسلامي في الأندلس ²

من خلال ما سبق ، يظهر أن الحضارة الإسلامية كان لها تأثير واضح في تشكل النهضة الأوربية ، فقد ساهمت في تحريك عجلة التقدم في أوربا بعد قرون من الظلام ، بحيث انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا عبر قنوات عديدة منها الترجمة ، والتلاقح الثقافي في الأندلس وصقلية ، مما يوضح أن ما شهدته أوربا لم يكن بمعزل عن التأثيرات العلمية والفكرية التي وصلتها من العالم الإسلامي ، وفي الأخير ندرك أن الحضارة الإنسانية قائمة على التواصل بين الأمم.

¹ ينظر حسام جميل الناييف ، أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية ص 163 .

² سيد عبد الماجد الغوري ، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب ، ص 10

المبحث الثاني: التبادل الحضاري وأثره في تطور الأدب الأندلسي :

شهدت الأندلس تفاعلا حضاريا فريدا من نوعه بين شعوب اختلفت أديانها وثقافتها ، مما ساعد في نشوء أدب غني ومتنوع ، فقد أدى هذا التعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود ، وإضافة على ذلك التبادل الفكري مع المشرق والغرب ، إلى بناء قاعدة خصبة للتطور الأدبي ، وفي هذا الصدد ، سنحاول أن نعرض في هذا المبحث أهم ملامح التعايش الحضاري ، وأيضا سنعرض على أثر هذا التبادل في تشكيل الأدب الأندلسي .

دور التعايش الحضاري في تشكيل الخصوصية الأدبية الأندلسية :

1/ مظاهر تعايش المسلمين والمسيحيين و اليهود :

كان المجتمع الأندلسي متعدد الأعراق و الأديان ، يضم العرب و البربر و المستعربين و اليهود ، المولدين و الصقلية و غيرهم ، وقد انصهرت هذه المكونات في وحدة اجتماعية ذات طابع حضاري مشترك ، تميزت بالانسجام و التسامح خاصة في منطقة الثغر الأعلى حيث تفاعلت العناصر المسلمة و المسيحية بوضوح فلا أثره ولا تفضيل و لا تمايز ولا مفاضلة ، بل مواساة في الحقوق و الواجبات و اخوة في السراء و الضراء ، و معاملة بالحسنى ، و عفو عن الزلات ، وإغضاء عن السيئات ، ورفق في المعاملة .¹

1-النصارى

يتجلى لنا اندماج النصارى في المجتمع الإسلامي وتتضح لنا صور التعايش مع المسلمين فيما يلي:

أ / استقرارهم في ديار المسلمين و إقامتهم بين ظهرانيمهم وكان لهم حضور كبير في سائر المدن الأندلسية فقد استوطنوا اشبيلية، وبلنسية، والبيرة، وبطليوس، وطركونة، ومالقة، وغيرها كما لوحظ انتشارهم الواسع في الأرياف .

¹ صلاح الدين وانس ، روح التسامح و التعايش الديني بين المسلمين وغيرهم في الأندلس ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة غرداية _ الجزائر ، مجلد 24 ، العدد الأول ، 10 يناير 2024 ، ص 232 بتصرف .

ب / إبرام معاهدات سلمية تحفظ لهم حرية المعتقد وحماية الممتلكات، فمكّنهم ذلك من ممارسة شعائرهم الدينية وإدارة شؤونهم الخاصة حسب قوانينهم والاحتفاظ بسلطتهم وهويتهم الثقافية¹

ج/ الحق -لنصارى- في تملك الأرض كيفما شاءوا ، كما تمتعوا بالمساواة في الأحكام والشكاوى والمنازعات إلى جانب المسلمين حيث أنصفوا في شكواهم ونصروا في مظالمهم

د/ ومظاهر الإحترام وقمة الرقي تمثلت في تخصيص "مقابر للذميين تماشياً مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم ، في بلاد المسلمين²

هـ / عالقات الصداقة والمودة بين الطرفين، ومن أبرز الصداقات التي ذكرتها المصادر المتعلقة بمنذر بن يحيى التجيبي الذي كان "كثير التودد إلى ملوك النصارى وقد ربطته بهم عالقات ود وصداقة وثيقة³ ، وكذلك "بجاهد العامري" من ملوك الطوائف مع كونت برشلونة ومع فردلند ملك قشتالة الذي قضى سنين طوال في عالقات ود وتطورت العلاقة مع النصارى ووصلت في عهد ابنه إقبال إلى التسامح المطلق والمنقطع النظر في تاريخ الإسلام حتى وصل به الأمر إلى أن وضع "كنائس مملكته في دانيا والجزائر تحت رعاية أسقفية برشلونة⁴ . وهذه المظاهر وغيرها تدل على اختفاء ملامح الصراع العنصري والديني من المجتمع الأندلسي ، فقد استطاعت روح التسامح أن تتغلب على روح العصبية والتشدد وأن تحل الوحدة محل الفرقة، والاتفاق محل الخلاف .

2-اليهود :

اندماج اليهود في المجتمع الإسلامي وتعايشوا معه، وتجلّى ذلك في صور شتى منها :

¹ سامية جبّاري : الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب ، عصر الطوائف والمرابطين ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2007 ، ص 80

² إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، ط1، 1998م، ص184.

³ عبادة كحلية : تاريخ النصارى في الأندلس ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993م ، ص 162

⁴ المرجع نفسه ص 86

أ- استقر اليهود في معظم مدن الأندلس ، مثل طليطلة و قرطبة و غرناطة التي عرفت بكثافتهم فيها و عاشوا بجوار المسلمين في أحياء خاصة بهم دون صراعات تذكر ، رغم بعض الإحتكاكات المحدودة مثل شرب الخمر قرب المسجد ، أو طلبهم الإستفادة من ماء المساجد المجاورة .¹

ب/ تمتع اليهود في ظل ملوك الطوائف والمرابطين بحرية المعتقد، ولم تصدر تشريعات خاصة لليهود، بل أوكلوا لهم حرية التنظيم والتنظير لتشريعاتهم وأحكامهم مراعين في ذلك خصوصياتهم، كما فعلوا مع النصارى، لذلك كان لهم تنظيم إداري خاص يقوم على رئاسة شيخ للجماعة اليهودية يدعى الجاون (GAON) يكون له الإشراف على الموظفين الذين يجمعون التبرعات ويتولون رعاية معابد اليهود، وقد بلغت حرية النشاط الديني ذروتها مع إسحاق الفاسي اليهودي الذي خلف موسى عزرا في منصب " حبر غرناطة" ولعب دورا أساسيا في التكوين الديني لليهود الأندلس، " كما قويت شوكتهم بظهور المدارس التي تعمل على إحياء التراث اليهودي وتجديد الدراسات اليهودية على ضوء ما وصل إليه الفكر الإسلامي من تطور معتنمين الحرية لهم .²

انتشار اللغة العربية:

لقد كان لظهور طبقة جديدة من المولدين نتيجة المصاهرة نشؤوا على الإسلام أكبر مساهمة في انتشار اللغة العربية وإتقان اللغة الرومانية بين الأندلسيين ،وعن طريق المولدين تداخلت العربية والرومانية . إلى جانب المولدين كان هناك عدد كبير من أهل البلاد احتفظ بديانته من مسيحية ويهودية، لكنه تعلم العربية وأخذ بأسلوب العرب في الحياة، وهؤلاء يعرفون باسم المستعربون أي الذين تعربوا ولم يدخلوا الإسلام وقد كفلت لهم الدولة حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم ولم تتعرض لهم في ذلك بشيء ، ويمثل الاستعراب تأثير الثقافة العربية في غير المسلمين من الإسبان ، وقد بلغ الأمر بهم أن صاروا مولعين بالتراث العربي من أدب وشعر حتى أن المطران الفارو شكوا من انتشار الثقافة العربية بين شباب النصارى، وقد تكلم النصارى العربية وأجادوا استعمالها بل برعوا فيها وتذوقوا معانيها في شعر العرب وهذا ما يؤكد عاملهم ألبير القرطبي حيث يقول (indic lus luminosus) أن النصارى -إخواني -مولعون بشعر العرب وقصصهم، ويعكفون على أعمال

¹ ينظر: صلاح الدين وانس : روح التسامح و التعايش الديني بين المسلمين وغيرهم في الأندلس ، ص 236

² سامية جباري:الأزمة الأخلاقية،ص108.

الفقهاء والفلاسفة المسلمين ليس لدحض ما ورد بها، ولكن ليكتسبوا أسلوباً عربياً صحيحاً وأنيقاً، وإنك لن تجد أحداً من غير رجال الدين يستطيع أن يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة¹. بل يقول: "إن النصارى نسوا لغتهم وهو دليل الاندماج والتمازج الاجتماعي وعدم وجود العصبية وشيوع التسامح،" يؤكد ذلك حديث ألبير ما نفق عليه في الوثائق المستعربة بطليطلة، فهذه المدينة خرجت من سلطة المسلمين سنة 478هـ/1085م، وعادت إلى دائرة النصرانية من جديد، ومع هذا ظل أهلها من المستعربين يتحدثون بالعربية، ويكتبون بها وثائق - أغلبها يتصل بالمعاملات²

إن هذا التعايش الذي جمع بين مختلف الديانات والثقافات المتعددة في أرض الأندلس، لم يكن مجرد حالة اجتماعية، بل كان له الأثر البالغ في تشكيل الأدب الأندلسي بصورة متميزة، اتسم بالتنوع والانفتاح والابتكار، ومن أبرز مظاهر هذا التأثير ظهرت لنا الموشحات والأزجال، إذ جمعت بين اللغة الفصحى والعامية.

تجليات التأثير الحضاري في البنية الفنية والمضامين الأدبية :

لا يمكن أن يقتصر التبادل الحضاري وأثره على المسلمين وغيرهم في الأندلس على المجال الاجتماعي أو السياسي فقط، بل امتد ليشمل البنية العميقة للأدب، سواء أكان هذا التأثير من حيث الشكل أو المضمون فقد أثمر هذا التفاعل بنية أدبية غنية تأثرت فيها اللغة، وتنوعت الأساليب، وتجددت وتوسعت الموضوعات، في ظل تلاقح فكري وثقافي واسع، أسهم في إنتاج أدب ذي خصوصية فنية واضحة.

التأثير اللغوي :

كان من نتائج الاحتكاك والتفاعل الثقافي بين الأندلس وأوروبا التأثير اللغوي بين اللغة العربية واللغات الأوربية، فأثرت وتأثرت حسب قانون التجاور والتواصل الحضاري³. وقد أدى التواصل

¹ سامية الجباري : الأزمة الأخلاقية، ص 116/115 بتصرف

² عبادة كحلية : تاريخ النصارى في الأندلس، ص 116

³ أحمد بدر : تاريخ الأندلس في القرن الرابع هجري، أطلس للنشر والتوزيع، 01 يناير 1983، ص 142

الحضاري واللغوي إلى دخول الآلاف من الكلمات العربية إلى اللغات الأجنبية¹ ، و تنوعت تلك الألفاظ ما بين علمية وأدبية و حياتية تتعلق بأمور المعيشة بل والمصطلحات العلمية أيضا وقد ذكر ابن سينا² ، الكثير من العقاقير التي دخلت في علم النبات، وعلم الصيدلة عند الأوربيين ، و ظل الكثير منها بأسمائها العربية في اللغات الأجنبية كعنبر Ambra ، والزعفران Safran ، والكافور Kampfer ، والتمر الهندي inda Tamar ، وعود الند Aloe ، والحشيش Haschisch ، والمسك Muskat ، والصندل Sandelholz وغيرها ، ويكفي العرب فخرا ما بقي من الأسماء الطبية في اللغات الغربية كالكحول والصداع Soda ، وقد سجل الأستاذ جاك ريسلر ، في كتابة الحضارة العربية الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأجنبية

التأثير القصص :

من المسلم به أن التأثير العربي من جانب الأدب يشمل الشعر و النثر وفي الأدب الإسباني تظهر التأثيرات العربية قوية بأجلى مظاهرها في الشكل والمضمون جميعا ، فقد كانت أول ما عرفت أوروبا من القصص المستقى من أصول عربية هو كتاب (تعليم رجال الدين) لمؤلف من أهل وشقة يهودي الأصل كان اسمه موشي سفردى وتشير الدلائل بأنه كتب كتابه باللغة العربية ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية ويورد في كتابه ها ثلاثا وثلاثين أقصوصة شرقية نقلها من حنين بن إسحاق و كليلة و دمنة و السندباد ، وهو يقرر فيه صراحة أنه صنفه من أمثال فلاسفة العرب و حكمهم ، وقد تأثر بهذا الكتاب أدباء إسبان كثر أمثال : (دوان خوان مانويل) في كتابه (الكوندي لو كانو) و (ثروفانتيس) في حكاية الغزاة التي قصها (سانجو) على (الدون كيخوتو) ليلة الطواحين .. وغيرهم كثير³

يتضح مما سبق أن التفاعل الحضاري الذي شهدته الأندلس لم يكن مجرد تعايش سلمي بين مكونات المجتمع ، بل كان مصدرا هاما لتجديد الأدب وتوسيع آفاقه . فقد أثر هذا التبادل في اللغة

¹ سعيد أحمد ه بيومي: أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها ، مكتبة الآداب، ط1 ، القاهرة، 2002 ، ص. 36.

² عبد الوهاب عزام: الألفاظ العربية في اللغات الإسلامية غير العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة: 1957 ، ص. 85-86

³ ينظر ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ، ط1 ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر، دت، ص07.

، والأسلوب ، وموضوعات السرد ، وهو ما مهد الطريق أمام انتقال هذا التراث إلى أوروبا ، وأسهم في تشكيل بعض ملامح أدبها الناشئ .

المبحث الثالث : انتقال العناصر الأندلسية أوروبا واسبانيا خصوصا

كثير من الباحثين الأوروبيين وخاصة الأسبان نظروا إلى الأدب العربي نظرة دونية منذ فترة طويلة ، غير أننا قد نجد بعض الأسماء اللامعة من المستشرقين الأوروبيين الذين أعطوا اهتماما خاصا لدراسة الأدب العربي عامة والأدب الأندلسي خاصة ، فتمعقوا في هذا الأخير حيث نذكر منهم المستشرق بلاثيوس¹ ، وغيره من المستشرقين الذين انكبوا على دراسة التراث الأدبي الأندلسي وأفردوه بمؤلفات مهمة واستطاعوا أن يثبتوا بالدليل الدامغ أثر هذا الأدب في الآداب الإسبانية خاصة ، والأوروبية عامة ، بحيث حاولوا أن يثبتوا أن المرحلة الأولى لنشأة الشعر الإسباني قد انطوت على الشعر العربي الأندلسي وخاصة المرشحات والزجل ، وذلك في الخرجة التي تكتب عادة بلغة أجنبية ، وكانت في الزجل الأندلسي تكتب بلغة الإسبانية الدارجة الرومانية .

أولا : تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية :

ومن أقدم المحاولات لرصد آثار اللغة العربية في اللغتين الإسبانية والبرتغالية ما قام به فرانثيسكو مارينا حين أحظى الألفاظ القشتالية ذات الأصل العربي المختصر وذلك سنة 1805 يليه المعجم اللغوي الذي أعده دوزي وانجلمان بعنوان معجم الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية الذي صدر سنة 1861م ، كما ألف إيكيلات معجم إشتقائي للكلمات الإسبانية ذات الأصول الشرقية ، غرناطة 1886م وتتابع المؤلفات في هذا الاتجاه على نحو ما يحصيه حكمت في بحثه عن التأثير العربي في الثقافة الإسبانية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المحاضرة التي ألقاها المستشرق ليفي بروفنسال في الجامعة المصرية سنة 1938م والذي أكد فيها أن اللغة الإسبانية وجدت نفسها مضطرة على أن تأخذ من اللغة العربية لتستطيع التعبير عن المفاهيم الجديدة وخاصة في مجال المؤسسات والنظم والحياة الخاصة ، وبعض الألفاظ الزراعية في لغة الفلاحين الصميمة ... ويتجاوز الأمر إلى الألفاظ الحضارية المتصلة بحياة الترف والرخاء فقد استخدموا ألفاظا

¹ الراهب الإسباني ميغيل أسين بلاثيوس (1871 . 1944) مستشرق حصل على الدكتوراه عن رسالة عن الغزالي، التي عدّها وأصدرها بعنوان «الغزالي .. العقائد والأخلاق والزهد».

عربية خاصة بقص الشعر وتسريحه والملابس والأحذية فملابس السيدات المسيحيات تزدان من قبل أن تسقط إسبانيا الإسلامية حتى بعد أن استردها المسيحيون على حد سواء، بأروع وأغلى الملابس العراقية وكانت تحمل أحيانا اسمها العربي نفسه فيقال الجبة {aljubas} والدراعة {adoraas} وقد كان لفنون الملاحاة والمنتوجات الزراعية والمعادن نصيب من هذا التأثير وهذا ما أكده المستشرق مونتيكيري واط، ولا ننسى أن أسماء الآلات الموسيقية من أصل عربي مثل العود {Lude}، والقيتارة {guitar} والنقارة {naker}، فهذه الآلات دخلت أوروبا بوساطة العرب وهو ما برهنه عبد الرحمان الحجى في دراسته عن الموسيقى الأندلسية، وقد كان هذا

الموضوع مصدر اهتمام الكثير من الباحثين أمثال لطفي عبد البديع الذي قدم إحصاء ماثلاً لسابقه يبرهن فيه تغلغل اللغة العربية في مناطق الحياة بشبه الجزيرة الإيبيرية والمستشرق الأمريكي وليم إليوت وعباس محمود العقاد وحكمت الأوسي الذي قال أن أكثر من 17 بالمائة من مفردات اللغة الإسبانية أصلها عربي أي بمعدل 4000 كلمة .

ومن التأثيرات الواضحة استخدام صوتي الحاء والثاء و{ال} فالإسبانية الوحيدة بين اللغات اللاتينية التي تستخدم هذه الحروف الثلاث .

– إن كل الدراسات التي سبق لنا التكلم عنها لا تعد نقطة في بحر الأوسي والذي أعد بحثاً جامعاً وساعده على ذلك أصله العراقي وإقامته في بعض مدن إسبانيا حقة من الزمن ومن الأمثلة الطريفة التي يسوقها في بحثه ما يروونه عن شيخ إسباني هو فرانثيسكو ديسكالث أنه كان يعيش عيشة العرب، يحتفل بالمناسبات، التي يحتفلون بها ويعني أغاني عربية ويحث جيرانه على صيام رمضان ويقال إنه كان يتجول من مكان إلى آخر وهو يعزف على عوده وبرفته شخص يساعده ويشترك معي في الغناء والضرب على الدف، وكانا ينشدان أغنيات ويذكرون فيها اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن وجوه التأثير كذلك عدم أكل لحم الخنزير والختان والتسمية من الأسماء الإسلامية ...¹

¹ كتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، منجد مصطفى بهجت ص 432 / 436 بتصرف

أثر القصة العربية على القصة الأوربية :

يأتي الوجه الثاني لتأثير الأدب الأندلسي في نظيره الأوروبي ومن المستشرقين الذين قالوا بهذا التأثير المستشرق رينان حيث يقول: "من المسلم به عموماً أن أوروبا استوردت من العالم الإسلامي قصصه ورواياته وحكمه وأمثاله¹ كما يقول باري: "ترجم عدد من القصص العربية إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية ، وتولدت منها سلسلة طويلة من الروايات بل هناك مجموعة كاملة من قصص عربية الأصل انتقلت إلى أوروبا بفضل (بوكاشيو) وغيره من الكتاب الايطاليين .

ومن أشهر القصص الفرنسية التي نبتت مباشرة من أصل عربي نذكر منها : قصة (فلوارو بلانشفلور) وقصة (أو كاسين) و (نيكو ليت) و (وصية الكلب) و (الليلة الطويلة) و (الطبيب الشرير) و اقتبس مولير عن القصة الأخيرة مسرحيته (طبيب برغم أنفه) .

لعب الأندلس دوراً لا يقل أهمية عن نظيره في المشرق العربي في التأثير على أوروبا ، بحيث لا يمكننا دراسة تاريخ القصة الأوربية دون أن نستحضر الجذور العربية التي أثرت فيها ، حين ظهرت قصص ذات طابع شعبي متأثرة بالقصص الشعبية في الأدب العربي ، محدثة بذلك تحولا في فنون الأدب لدى غرب أوروبا ، التي كانت تركز سابقا على الحكايات الخرافية والملاحم الأسطورية وذلك بعد أن غزت الحضارة الأندلسية أوروبا وخطفت أنظار أمراء جنوب فرنسا وإبهارهم ، مما دفعتهم إلى تبني فنون القصة العربية في كل تفاصيل حياتهم ومظاهرها .

وإذا أخذنا هذا الأمر في الاعتبار ، فإن الباحثين يرجحون أن مصادر النهضة القصصية في الأدب الأوربي تعود إلى التراث العربي ، خاصة بعد اندثار التراث القصصي الإغريقي واللاتيني خلال العصور الوسطى ؛ ومن أبرز الأمثلة على ذلك أول مجموعة قصصية كتبت باللاتينية وهي " محاضرات الفقهاء " أو " أدب العلماء " التي ألفها اليهودي المنتصر " بدرو الفونسو " في أوائل القرن الثاني عشر نشرت هذه المجموعة أول مرة في باريس عام 1824م ثم تعاقبت طبعاتها اللاتينية ، وتضم هذه المجموعة ثلاثين قصة شرقية عربية ، وقد أشار المؤلف إلى أصولها العربية ، بحيث صدرت عن رجل على فراش الموت أطلق عليه اسم العربي يوصي ابنا له ويعظه ولذلك تأتي القصص ذات نكهة عربية.

¹ محمد مفيد السبواشي رحلة الأدب العربي إلى أوروبا ، دار المعارف ، مصر ، 1968 م ، ص 125

وتؤكد الدراسات أن مصادر القصص التي أثرت في الأدب الأوربي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1/ المجموعة الأولى ذات الأصول الشرقية :

والتي انتقلت إلى الآداب الأوروبية عن طريق ترجمتها من اللغة العربية إلى لغات أخرى وأشهرها :

- قصة " كليلة ودمنة " : وهي قصة من أصول هندية كتبها ابن المقفع فاشتهرت وترجمت إلى عدة لغات ..

- قصة " سندباد " : وهي قصة نقلت إلى القشتالية سنة 1253 هـ تحت عنوان مكايد النساء وحيلهن ، وهذه القصة واردة في كتاب ألف ليلة وليلة كذلك ، ولعل أهم أثر تركته أمثال هذه القصص يبدو واضحا في مجموعة بوكاتشو " الليالي العشر " أو " الصباحات العشر "

القصة الصوفية " برلعام ويواصف " : وهي من أكثر القصص التي عرفت ذيوعا واسعا في اللغات الأوربية فضلا عن الإسبانية حيث أصبحت أساسا لقصص : " رايونذ لوليو الميورقي الكافر والعلماء الثلاثة وغيرها

2/ المجموعة الثانية وهي المقامات : وفي هذا المجال فيبدو أن آثار المقامات كان جليا وواضحا في القصص " البيكارسيكي " والذي نقصد به قصص الشطارة بحيث يتكلم عنها احد الباحثين بإيجاز غلى أن يصل أنها تطابق المقامات العربية تطابقا كبيرا ..

3/ المجموعة الثالثة قصة " حي بن يقظان " : وهي قصة من تأليف ابن طفيل سنة 581 هـ وكانت قد ترجمت سنة 1861 إلى اللاتينية وفيما بعد ترجمت إلى عدة لغات أوربية حديثة أخرى ، حيث نجد تأثيرها واضحا في قصة " روبنسون كروزو " التي ألفها دانييل دي فو..¹

وهكذا شكلت الحكايات والقصص العربية جسرا واضحا بين الشرق والغرب ، وأسهمت في إثراء الأدب الأوربي بمفاهيم وأساليب سردية جديدة .

¹ ينظر إلى كتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الأندلس 92-897 هـ ، د. منجد مصطفى بمجت صفحة

تأثير الموشحات والأزجال على شعر التروبادور :

يُرَجَّح أن أول من ابتكر فن الموشحات هو مقدّم بن معاني القُبري الضرير، الذي عاش ما بين عام 225هـ/840م و299هـ/912م، غير أن شيئاً من موشحاته لم يصل إلينا. وقد تبعه عدد من الشعراء الذين فضلوا هذا الأسلوب من النظم، لما يتميز به من سهولة في التناول ويسر في الطريقة، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون. والموشح هو نوع من النظم يعتمد على ازدواج القوافي، إذ تشير تسميته إلى طريقة تنظيم هذه القوافي. ويشترك الموشح مع الزجل في العديد من الخصائص، إلا أن الفرق بينهما يكمن في البناء العروضي. إذ يتألف الموشح من فقرات تُسمّى "أبياتاً"، ويضم كل بيت عددًا محددًا من الأَشطار ذات قافية واحدة، يعقبها "خرجة" تختلف في القافية، لكنها تأتي في نفس البحر العروضي لأشطار الغصن. ويلتزم الشاعر، أو "الموشّاح"، قافية الخرجة الواحدة في جميع خرجات الموشحة، بينما تتوحد كل مجموعة من الأغصان في قافية واحدة ومن بحر واحد كذلك¹.

كما يظهر في شعر أول شاعر لتروبادور بروفلنساوي وهو جيوم التاسع الذي استعمل القافية بكل أنواعها في الشعر الأوربي ...

فمن حيث بناء القصيدة جاء متوسط المقطوعات في شعر التروبادور سبع مقطوعات وهو السمة الغالبة على الموشحات والأزجال الأندلسية، كما أن مقطوعات شعر التروبادور يوجد بها ما يقابل الغصن والقفل والمطلع في فن الموشحات الأندلسية ومطالع قصائد التروبادور يشبه كثيرا مطالع الموشحات، بحيث أكثرها من استعمال المطالع المكونة من أربعة أشطر وهو ما استعمله الموشاحون و الزجالون الأندلسيون قبل التروبادور برده كبير من الزمن²

ومن حيث المضمون انتقلت أخيلة الشعر العربي ومعانيه وخاصة الموشحات إلى شعر شعراء التروبادور، إن أخيلة الشعر العربي ومعانيه احتضنتها الموشحات والأزجال قد انتقلت هي الأخرى في غزل التروبادور، فالرقيب والعاذل و الواشي، ونشأة حب من أول نظرة، والتهالك على استرضاء الحبيب

¹ عبد الرحمن بدوي، أثر الأدب العربي في تكوّن الشعر الأوربي، الموسوعة الإسلامية، 2012-6-16، اطلع عليه يوم :

10 نيسان/أبريل 2025، سا 15.32 بتصرف

² محمد عباسة، الموشحات والأزجال وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع مستغانم، الجزائر، ط1، 1433هـ/2012م.

،وحلاوة الوصل ولذاته ،وذهور العاشق وشروده ، كل ذلك وجد شبيهه في شعر هؤلاء وهي عواطف لم تكن ذائعة في غزل اللاتيني وظهوره لدى التروبادور في لون الأزجال والموشحات يوحى بتأثره الصريح¹.

وهكذا أصبح لشعر التروبادور خصائصه القائمة على شكل الموشحات العربية وموضوعاته وحتى بعض تعاريفه ،المأخوذة من الشعر الأندلسي وقد وجد صدى طيبا في جنوب أوروبا يقول التروبادور مازجا في قصيدته الحب بوصفه الطبيعة وخاصة في فصل الشتاء الذي يؤثر فيه بشدة ويسبب له الضيق والأحزان .

انفصلت الأوراق عن شجر الدردار

وجفت الأغصان في الأعلى

ولم تعد تطلع على جذوع الأشجار

رائحة تسم النبات العذب

° تأثير أهم الشخصيات العربية وكتبهم في الثقافة الأوربية :

من أبرز الشخصيات العربية التي كان لها تأثير بالغ في الثقافة الأوربية "ابن حزم القرطبي" ، صاحب المؤلف الشهير طوق الحمامة، الذي تناول فيه موضوع الحب وماهيته وأنواعه بأسلوب عميق وراقي، وقد لاقت أفكاره صدى واسعاً في الأوساط العاطفية الأوربية. ويؤكد ذلك ما أورده "غومس غارسيا" في رده على من أنكروا أثر الحب العذري العربي في الأدب الأوربي، حيث قال إن شعراء الإسلام، من بغداد إلى مارسيلىا، أمضوا قرناً ثلاثة يتفننون في التعبير عن الحب العذري، ويحللونه، ويضعون له قواعد ومناهج واضحة. وقد انتقلت هذه الحركة الأدبية من قرطبة إلى منطقة بروفانس في جنوب فرنسا، لتلهم شعراءها بما عرف لاحقاً بـ"العلم البهيج"، وهو ما أثر أيضاً في أسلوب "جويدا جنزلي"، أستاذ الشاعر الإيطالي الشهير دانتي، الذي تميز بأسلوبه الرقيق والعذب...²

¹ الطاهر مكي ، في الأدب المقارن ، دراسات نظرية وتطبيقية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت. ص 208-209 بتصرف .

² أ.بصالح خديجة ، تأثير الثقافة العربية الأندلسية في الفكر الأوربي ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة عين تموشنت ص 2 بتصرف .

إن ابن حزم القرطبي في كتابه أشكال الحب حلوها ومرها، هذه الأشكال التي جاد الشعر البروفانسي الأوروبي وبعد قرن من الزمن ليتعرض لها، إن ما تضمنه هذا الشعر من تمجيد للمرأة وخضوع لها ليس له أي جذور في الشعر الغنائي الأوروبي الذي لم يعرف قبل القرن الثامن عشر ميلادي، ولم يبق أمام النقاد والمؤرخين إلا أن ترد هذه الجذور إلى الأدب العربي عامة والأندلسي خاصة، والتي كان يشكل فيها غرض الغزل جوهره ومركز تطوره.

لقد كان لكتاب {الطوق} نفوذ قوي في نشأة الشعر الغنائي الأوروبي وهو المصدر لكثير من الموضوعات والمصطلحات القائمة في شعر التروبا دور، ومن أول هذه الموضوعات تردد ذكر ما يدعى {cardador} الذي يقابل في الشعر الغزلي العربي {الرقيب} وللدوق جيوم التاسع مقطوعة يقول فيها:

إني أنصحكم أيها الرقباء وأقول لكم:

وليكونن من العقلة أن تصدقوا ما أقول

ليس هناك رقيب لا تدركه سنة من النوم بين وقت وآخر

وبمقارنة بسيطة مع ما أورده ابن حزم في باب الرقيب من كتاب الطوق نجد ثمة تشابه كبير وغريب¹

يتضح من خلال ما سبق أن العناصر الأندلسية لم تكن حكرا على الحضارة الإسلامية، بل شكلت جسرا حضاريا مهما انتقلت من خلاله العلوم والمعارف والآداب إلى أوربا، وكان لإسبانيا النصيب الأوفر من هذا التأثير بحكم الجغرافيا والتاريخ المشترك، فقد أسهم التلاقح الثقافي بين الشرق والغرب، من خلال الترجمة والاحتكاك المباشر، في إحياء الحركة العلمية والفكرية في أوربا، ومهد الطريق لعصر النهضة؛ وهكذا فإن الأندلس لم تكن مجرد مرحلة زمنية في التاريخ، بل كانت مصدر إشعاع حضاري امتدت آثاره إلى أبعد من حدودها الجغرافية.

¹ المرجع نفسه ص3. بتصرف

الفصل الثاني

أثار التفاعل ومظاهره

المبحث الأول: الأدب الأندلسي وديناميكية الشكل

المبحث الثاني: الأدب نتاج تراكمي {تأثير وتأثر}

المبحث الثالث: الأدب الأندلسي بين التقليد والتجديد

{الموشحات والزجل}

الفصل الثاني: أثار التفاعل ومظاهره

تمهيد:

يمثل الأدب الأندلسي مكوناً عضوياً في إرث الأدب العربي ، حيث تجلت عبر مراحلها التاريخية تجربة ثقافية استثنائية نابعة من التفاعل الحضاري بين مكونات المجتمع الأندلسي المتنوعة ، وقد تشكل هذا الأدب في بيئة اجتماعية اتسمت بالتعددية العرقية والدينية والثقافية ، مما أفرز حركة ثقافية داخلية ديناميكية ، عبرت تشكيلات فنية مبتكرة وموضوعات أدبية متنوعة ، تجاوزت حدود النقل التقليدي أو المحاكاة السطحية . ولم يقف هذا التفاعل عند حدود التلاقح الثقافي ، بل تطور إلى عملية إبداعية تراكمية أسهمت في صوغ أدب قومي متميز ، حافظ على جوهر الهوية العربية الإسلامية من جهة ، واستوعب بإبداع التحولات الواقعية لمجتمع تعدديته سمة جوهرية في نسيجه الحضاري

وهكذا مثل الأدب الأندلسي نموذجاً فريداً للتوازن بين الأصالة والانفتاح ، حيث انصهرت الموروثات الثقافية في بوتقة الواقع الأندلسي لتنتج خطاباً أدبياً يجسد تفاعل الذات مع الآخر في فضاء إبداعي خلاق .

المبحث الأول: الأدب الأندلسي وديناميكية الشكل :

إذا كان التمهيد قد أبرز لنا الطابع التفاعلي للأدب الأندلسي بوصفه نتاجا لتلاقح ثقافي فريد؛ فإن تحليل سمته الجوهرية المتمثلة في "ديناميكية الشكل"، يستدعي التعمق في الآليات الإبداعية التي حولت هذا التفاعل إلى ممارسة جمالية متجددة. فلم يقتصر الأدب الأندلسي على استلهام الموروث العربي ومحاكاته، بل تجاوزه، مما أدى إلى تحولات بنيوية في الأشكال الأدبية وتحليلات فنية مبتكرة في مجالي الشعر والنثر، وعليه يتناول هذا المبحث "ديناميكية الشكل" بوصفها محورا أساسيا لفهم الانزياحات الفنية التي ميزت الأدب الأندلسي، من خلال تتبع مسار تطور الأجناس الأدبية، وتحولها عن النماذج الكلاسيكية، وتفاعلها مع سياقات التعدد الثقافي، مما جعل من الشكل الأدبي مرآة للتفاعل المستمر بين الثابت والمتحول في تجربة إبداعية استثنائية.

الشعر الأندلسي إبداع مميز في أرض الجمال :

بعد فتح الأندلس على يد طارق بن زياد واستقرار الحكم الإسلامي، شهدت المنطقة نهضة شعرية مميزة، حيث وجد الشعراء في طبيعة الأندلس الساحرة وثقافتها المتنوعة منبع إلهام فريد أثرى أشعارهم. تميز الشعر الأندلسي بخصائص فنية مختلفة عن نظيره المشرقي، بفضل اندماج الإحساس المرهف بالجمال الطبيعي مع علوم اللغة العربية وآدابها.

لم يقتصر نظم الشعر على نخبة معينة، بل شارك فيه أفراد من مختلف الطبقات: من الأمراء والوزراء إلى الفقهاء والفلاسفة، إضافة إلى إسهامات لامعة للشاعرات، وعلى الرغم من تأثر الأندلسيين بالشعر العربي الشرقي واهتمامهم بمواكبة إنتاجهم، إلا أنهم أضافوا لمسات إبداعية خاصة، جعلت شعرهم فنا مستقلا يجمع بين الأصالة والابتكار.

نظم شعراء الأندلس في العديد من الأغراض الشعرية التقليدية محافظين في ذلك على شكل القصيدة التقليدية متأثرين بالمشاركة حيث نهجوا منهجهم وكتبوا على طريقتهم وفيما يلي أبرز الأغراض الشعرية التي حافظ عليها شعراء الأندلس ومنها ما يلي :

المديح :

المديح من الفنون الشعرية التي نظم فيها الشعراء الأندلسيون ، وقد أكثروا منه ، حتى لنجد بعض كبار شعرائهم قد خرج معظم شعرهم في المديح أمثال ابن هانئ الأندلسي ، وابن دراج القسطلي ، وابن حمديس الصقلي ، وقد سار هؤلاء الشعراء على نهج الأقدمين في ألفاظهم ومعانيهم ، وبناء القصيدة والوقوف على الأطلال والديار ، وقد ملئوا مدائحهم بالتملق والاستجداء ولكنهم لم يغرقوا في استعمال الغريب ، سوى ما نراه عند ابن هانئ الأندلسي الذي تعمد الغريب ، وغالى في مدائحه ¹

ونجد قصيدة الشاعر ابن عمار في مدح المعتضد بن عباد المعتمد بحيث استهل قصيدته بمقدمة خميرية ، ثم انبرى بمدحه ، من خلال وصف الطبيعة بحيث مزجها في لوحة فنية جميلة : ²

وَالرَّوْضُ كَالْحَسَنَاءِ كَسَاهُ زَهْرُهُ	***	وَشَيْئاً وَقَلْدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرًا
أَوْ كَالْعَلَامِ زَهَا بَوْرْدِ رِيَاضِهِ	***	خَجَلًا وَتَاهَ بِأَسْهِنٍ مُعَدَّرًا
رَوْضٌ كَأَنَّ النَّهْرَ فِيهِ مِعْصَمٌ	***	صَافٍ أَطْلَّ عَلَى رِدَائِهِ أَخْضَرًا
وَتَكَلَّلَتْ بِالزَّهْرِ صُلْعَ هَضَابِهِ	***	حَتَّى حَسَبْنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرًا

تأتي هذه الأبيات في مدح المعتضد بن عباد، حيث يبدأ الشاعر بوصف روض جميل يصور من خلاله جمال الطبيعة بأسلوب رقيق، ليكون بذلك قد مهد لمدح ممدوحه، ثم يربط بين هذا الجمال وهيبة المعتضد ، مبينا ان الملوك لا يبلغون مكانته، ويظهر سيفه كجيش عظيم، دلالة على قوته وشجاعته ، بحيث جمعت هذه الأبيات بين الوصف الطبيعي والفخر، وجاءت على البحر البسيط مما يناسب موضوع مدحه.

¹ سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الأولى 2012م /1433هـ ، عمان ،

الأردن ، ص 49

² المرجع نفسه ص 50

الرتاء:

يعد الرثاء أيضا من الأغراض الشعرية التقليدية التي نظم فيها الشعراء الأندلسيون بحيث لم يختلفوا في نظمهم عن المشاركة من حيث التفجع على الميت ، و وصف المصيبة ، وتعداد المناقب ، فكانت معانيهم وأساليبهم متشابهة ؛ وكانوا يستهلون مرثيتهم بالحكم كالمشاركة ، إلا أن حكمهم كانت ساذجة لا عمق فيها ، تركز على الشكوى من الأيام.¹

وانقسم الرثاء في الأندلس إلى:

❖ رثاء الأهل و الأقارب: رثى شعراء الأندلس أهلهم وأفراد عائلاتهم وعبروا عن حزنهم بعاطفة صادقة نابغة من قلوب شاعرة جريجة.

❖ رثاء الوزراء والعلماء : وهذا لون آخر من الرثاء عند الأندلسيون يقال ليغير فيه الشاعر عن حزنه لفقدانهم (الوزراء والعلماء) ، وهذا اللون يفتقر إلى العاطفة لكونه يركز على الوعظ والإرشاد وضرب الأمثال بالأمم التي أفناها الدهر، فضلا عن الحكمة .

❖ رثاء الملوك والأمراء : وفي مثل هذا اللون من المرثي قوية الصياغ ، صادقة العاطفة حيننا وضعيفة حيننا آخر.

وقد كان رثاء الممالك الزائلة أكثر روعة من رثاء شعرا المشرق فقد أشجاهم أن يروا ديارهم تسقط بلدا إثر بلد في أيدي الغرباء من المكتسحين ومن أكثر القصائد روعة ، نجد قصيدة أبي البقاء التي يقول فيها²:

¹ جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، دار المعارف 1119، كرونيس النيل ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ص114.

² جودت الركابي، في الأدب الأندلسي ، مرجع سبق ذكره ، ص 115.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ *** فَلَا يُعَرَّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
 هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلٌ *** مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامُنُ
 وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ *** وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

تعكس هذه الابيات التي جاءت بقلم أبو البقاء الرندي ، مشاعر الحزن والأسى على ما حل بالأندلس من دمار وزوال بعد أن كانت مزدهرة ، فبين لنا أن كل شيء وإن بدا لنا مكتمل فإنه ينقص مع مرور الزمن ، فلا شيء يدوم على حاله فالعيش لا يطيب لإنسان في ظل تقلبات الزمان، فالأيام والدهر تتقلب كحال الدول، فما من دولة إلا ويصيبها الضعف من بعد القوة وختم قوله أن الدنيا لا تستقر لأحد، فكما تدور بأقوام إلى العز تدور بغيرهم إلى الفناء، وقد اعتمد أبو البقاء على البحر الطويل الذي ناسب هذه القصيدة .

الهجاء :

انحسر فن الهجاء في الأندلس ، ولاسيما الهجاء السياسي لانعدام الشعبية و ندرة الأحزاب السياسية ، فلا نكاد نجد هجاء سياسيا على نحو ما هو معروف عند المشاركة، وأيا كان الأمر ، فإن الهجاء الأندلسي يتوزع على ثلاثة أنواع هي:

° الهجاء الشخصي : ويتعلق الأمر في هذا الهجاء أن يهجو الشاعر شخصا كان قريبا منه ، ونجد مثلا على ذلك الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي بلغت فيه أقصى مراحل الفحش والإقذاع في هجوها لابن زيدون الذي أحبها وكساها بجلل الغزل الرائعة . رغم أن أبياتها لم تكن طويلة بل كانت لا تتجاوز البيتين إلا أنها كانت مقدعة وتقول:

وَلُقِّبَتِ الْمَسْدَسَ وَهُوَ نَعْتُ *** تَفَارُقُكَ الْحَيَاءُ وَلَا يَفَارِقُ
 فَلَوْطِيٍّ وَمَأْبُونُ زَانٍ *** وَدِيوثُ وَقِرْنَانُ وَسَارِقُ

° الهجاء الاجتماعي :

وهو هجاء أقرب إلى النقد الاجتماعي ، برز في عهد المرابطين ، وتمثل في التنذر بأصحاب اللثام ، والفقهاء المرائيين والمكسبين بالعلم والزهد ، ومن برع فيه نجد عندنا ابن خفاجة الأندلسي ، وأبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالأبيض الاشبيلي ، ومن شعر ابن خفاجة في هجاء المتكسبين بالعلم والزهد :

دَرَسُوا الْعُلُومَ لِيَمْلِكُوا بِيَدِهِمْ *** فيها صُدُورَ مَرَاتِبٍ وَمَجَالِسِ
وَتَزَهَّدُوا حَتَّى أَصَابُوا فُرْصَةً *** في أَخَذِ مَالِ مَسَاجِدٍ وَكُنَائِسِ

الهجاء السياسي:

لم ينهض الهجاء السياسي في عهد ملوك الطوائف مما يدل على انسياق الأدب شعره ونثره في ركاب كل واحد من أولئك الأمراء، ولا نعدم وجود ضرب من النقل السياسي لهؤلاء الملوك، تزعمه أبو القاسم بن فرج السميسر في مثل قوله :

نَادِ الْمَلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ *** ماذا الَّذِي أَحَدْتُمْ
أَسَلَمْتُمْ الْإِسْلَامَ فِي *** أَسْرِ الْعِدَا وَقَعَدْتُمْ
وَجَبَّ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ *** إذْ بِالنَّصَارَى قُمْتُمْ

العشق الروحي والوجداني :

تعد من الأغراض التي برزت نتيجة لتفاعلات دينية و اجتماعية عميقة شهدتها المجتمع الأندلسي، خاصة في فترات الاضطراب السياسي والسقوط لبعض الدويلات . وقد عبر هذا الغرض عن نزوع داخلي نحو التخفيف من زينة الحياة والتوجه إلى الآخرة ، فظهر في الكتابات الأدبية بنبرة خاشعة ، تعكس التواضع والرغبة من عظمة الخالق ، وتجسد مشاعر التوبة والندم والرجاء في رحمة الله ، واتخذ هذا الغرض شكلين رئيسيين: الزهد الذي يميل إلى التذكير بفناء الدنيا والموت، والتصوف الذي يعكس التجربة الروحية العميقة القائمة على المحبة الإلهية ، والفناء في الذات الإلهية . وقد اتسمت النصوص الزهدية والصوفية في الأندلس بالبساطة اللغوية والصدق التعبيري ، وخلت غالبا من الزخرفة اللفظية ، لتناسب مع صدق المعاني الروحية .

ومن أبرز الشعراء الزهدين نجد ابن عبد ربه الذي وصف لنا الدنيا بأنها دار الفجائع والمصائب وقال :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ أَيْكَةٍ *** إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
 هِيَ الدَّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ *** عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
 فَكَمْ سَخِنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ *** وَقَرَّتْ عِيُونَ دَمْعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبُ

أما التصوف فنجد من أبرز الشعراء الأندلسيون، الذين نظموا شعرا صوفيا رائعا ابن العربي شيخ المتصوفين الذي ولد بمرسيه سنة 560 هـ وانتقل إلى اشبيلية ثم سافر إلى الشرق ومات بدمشق سنة 638 هـ ، كان هناك اتصال بين متصوفة المشاركة ومتصوفة المغاربة من جراء تبادل الرحلات والتنقل بين الغرب والشرق ، فلمسنا لهذه وحدة في طرائفهم و أساليبهم.¹

ومن هنا نجد أن شعراء الأندلس نظموا في جميع الأغراض الشعرية التقليدية (هناك ما ذكرناه وهناك ما لم نذكره) وأضافوا إليها لمستهم الخاصة نظرا للبيئة التي يعيشون فيها مختلفة تماما عن بيئة المشاركة فقد مزجوا في شعرهم وصف الطبيعة في جميع الأغراض الأخرى من غزل ومدح وهجاء وكان للطبيعة تأثيرا واضحا في أشعارهم.

شخصيا الطبيعة وفرضها على الوجدان الشعري:

مفهوم شعر الطبيعة:

الطبيعة يأتي مفهومه أو بالأحرى معناها في اللغة من الطبع أي العادة التي اعتاد عليها الشيء أو الإنسان بالفطرة، والطبيعة في مفهومها المعتاد هي المحسوسات المحيطة بالإنسان، وهي تشمل جميع ما خلقه الله من جبال و أودية وبحار و أنهار ونجوم ونبات وسماء . والطبيعة هي كل ما أوجده الله في الكون منذ القدم، أو هي كل ما ليس من صنع الإنسان، والطبيعة الإنسانية : وتعني تلك الاستعدادات والقدرات النفسية والعقلية التي يتميز الإنسان عن بقية الكائنات، كما تميز كل إنسان عن آخر . وبهذا المفهوم تكون الطبيعة هي الحالة الثابتة التي عليها الشيء أو المظهر المؤلف المعتاد، وكذلك الطبع الثابت في الإنسان . فالطبيعة بهذا المفهوم تعني البداهة،

¹ ينظر : جودت الركابي ، كتاب في الأدب الأندلسي، د. ص 119/118.

أي المظاهر المتكررة أو المناظر الثابتة، والأشياء المألوفة للإنسان، والتي يتصل بها من خلال الحواس، ويعتمد عليها في حياته وتلبية حاجاته، ويركن لوجودها، ويألفه بما هو عليه¹

خصائص شعر الطبيعة في الأندلس:

يتميز شعر الطبيعة الأندلسي بالخصائص الآتية:

❖ يميل إلى تعلق الشعراء ببيئتهم، وتفضيلها على غيرها بعد أن كان هواهم معلقًا بصور الجزيرة العربية.

❖ هو شعر يصف طبيعة الأندلس الطبيعية بما فيها من حقول، ورياض، وأنهار، وجبال، وسما، ونجوم، والصناعية بما فيها من القصور، والقناطير، والمساجد، والأبنية الفخمة.

❖ هو شعر يصف الأقاليم الطبيعية لبلاد الأندلس فكان لبعض الأقاليم شعراؤها الذين اهتموا بوصف ديارهم.

❖ الطبيعة عندهم طروب تنشر جو الطرب.

❖ وصف الطبيعة عندهم متصل بالغزل والخمر، ففي كثير من شعرهم لا يذكرون الطبيعة إلا في رحاب الحب، ولا يذكرون الحب إلا في رحاب الطبيعة.

❖ المرأة عندهم صورة من محاسن الطبيعة، والطبيعة تجد المرأة ظلها وجمالها.

❖ شعرهم يُعنى بتشخيص الطبيعة، وتصويرها على نحو إنساني، وهو أسننة للطبيعة.

❖ شعر الطبيعة عندهم لا يظهر كغرض مستقل إلا نادرًا في بعض المقطوعات والقصائد؛ فنراه يمتزج مع الغزل كثيرًا، ونراه أيضًا في المدح، والرثاء، والعتاب، والفخر.

❖ كان لطبيعة الأندلس وما احتضنت من غزل، وهوى، وغناء أثر كبير في اختراع قالب جديد مستحدث من الشعر، ألا وهو الموشحات.¹

¹ د. حسين أحمد جمعة، شعر الطبيعة عند الشعراء عيسى عبد الله وعبد الواحد حسن السنوسي دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات الأفريقية، مجلد 45، العدد 4، الجزء 2، أكتوبر 2023م.

شعر الطبيعة عند الأندلسيين:

انبهر الشعراء الأندلسيون بجمال الطبيعة الساحرة ، التي أحاطت بها البحار وكثرت الأنهار وانتشرت الرياض والحدائق والمنتزهات وفتنت هذه الطبيعة شعراء الأندلس، مما أدى إلى بروز موضوعات جديدة لم تكن مألوفة في الشعر العربي التقليدي.

ومن بين هذه الموضوعات الجديدة التي عكست روح الأندلس وجمالها ، نجد شعر وصف الطبيعة ،الذي ازدهر بشكل لافت نتيجة تأثر هؤلاء الشعراء بجمال الطبيعة في الأندلس .لقد صور الشعراء الأندلسيون الطبيعة ليست فقط كخلفية للأحداث والمشاعر؛ بل جعلوها عنصرا حيا يعكس أحاسيسهم وأفكارهم، ومن أبرز من برعوا في هذا الفن نجد ابن خفاجة، الذي لقب بشاعر الطبيعة حيث صورها في أبهى حللها وجعلها تنطق بمشاعره وأفكاره.

وقد عبر عن فنتته بطبيعة الأندلس فقال ²:

يَأْهَلْ أَنْدَلْسٍ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ	***	مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ	***	وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَحْتَارُ
لَا تَحْتَشُوا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقْرًا	***	فَلَيْسَ تُدْخَلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وقال في التشوق إلى الأندلس وهو بالعودة ³:

إِنَّ لِلْجَنَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ	***	مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْسِ
فَسَنَا صُبْحَتِهَا مِنْ شَنْبٍ	***	وَدُجَى ظَلَمَتِهَا مِنْ لَعَسِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبًّا	***	صِحْتُ وَ شَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ

وهناك أيضا الشاعر ابن سفر المريني الذي عبر عن إعجابه وتعلقه بطبيعة بلاده الساحرة ،فتغنى برياضها الموشاة وكأنما نشر عليها وشى صنعاء وشبه صفاء مياه أنهارها بالفضة واستخدم التشبيه البليغ ،فتخيل المسك قد تشكل من تربتها ،والحرير من رياضها ، واللالئ من حصاها، وأشاد بلطف

¹ إسرائ حجازي ، بحث عن شعر الطبيعة في الأندلس ، مجلة بيت القصيد ، نشر في 27 يوليو 2021 ، آخر تحديث 22

ديسمبر 2022 ، اطلع عليه يوم 11 أبريل 2025 م سا 12.25

² ديوان ابن خفاجة .

³ ديوان ابن خفاجة.

هوائها وطيب نسيمها ، وصورها وقد أحاطتها المياه والبحار وبلغ ذروة الانتماء والحب لطبيعة بلاده ،
فهي الرياض ، وكل الأرض صحراء

يقول ابن سفر¹ :

في أرض أندلسٍ تلتدّ نعماء *** ولا يفارق فيها القلب سراء

وليس في غيرها بالعيش منتفع *** ولا تقوم بحق الأنس صهباء

وأين يعدل عن أرضٍ تحضّ بها *** على المدامة أمواةً وأفياء

وعلى هذا النحو فقد تعلق الشعراء الأندلسيون بمظاهر الطبيعة ، والتفتوا إلى مواطن الجمال فيها ، وقامت أوصافهم للطبيعة على عدة عناصر بارزة ، أهمها التشخيص واسسنة الجوامد ، وفي ذلك يقول د. شوقي ضيف : " ولعل بلدا عربيا لم يكثر من تشخيص عناصر الطبيعة على نحو ما أكثر الأندلسي ، فدائما تتراءى لشاعرها تلك العناصر أشخاصا ناطقة تملك عليه حواسه ، وتملأ عليه قلبه وعقله.²

ومن تلك العناصر الفنية الإكثار من التشبيهات والصور وفق معايير الغرابة والطرافة والابتكار ، وكانت مطلبا ملحا يسعى إليه الشاعر الأندلسي استجابة للذوق النقدي السائد ، " وكان من أثر انصرافهم إلى هذه الناحية أن أصبحوا في وصفهم للطبيعة لا يتجاوزون المرئي المشاهد في اغلب الأحيان ، وظلت المظاهر الطبيعية خارج نطاق ذات الشاعر

مظاهر التفاعل :

تعريف شعر الحنين إلى الوطن :

يعرف شعر الحنين إلى الوطن بأنه نوع من الفن ، وفرع من الشعر العربي ، و غرض من أغراضه القديمة في الفكرة ، والحديثه في الغرض ، يتحدث عن الشوق إلى الوطن ، والشوق إلى رؤيته.

¹ فوزي عيسى ، في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية للطبع والتوزيع سوتير ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 2008م ، ص 12.

² المرجع نفسه ص 102

والحنين إلى الأوطان ، هي حالة شعورية تنتاب الإنسان الذي يبتعد عن وطنه ، ويسافر مغتربا أو مهاجرا ، ولا يتوقف الأمر على الفترة التي يغييها الإنسان عن وطنه ، لكن ربما تتغير شدة الحنين إلى الأوطان حسب سن المغترب عن وطنه أو جنسه ، ومدى ارتباطه بوطنه و أهله ، والحالة التي ترك لأجلها الوطن ، وبعض العوامل الأخرى.

خصائص شعر الحنين إلى الأوطان:

و يتميز شعر الحنين إلى الأوطان ببعض الميزات والخصائص ، التي تجعله مختلف عن غيره ، ومن هذه الميزات والخصائص ما يلي :

- ❖ الشوق إلى الوطن.
 - ❖ سرد المشاعر تجاه الوطن.
 - ❖ تعدد مزايا الوطن.
 - ❖ صدق المشاعر والأحاسيس في شعر الحنين إلى الوطن.
 - ❖ سمة الحزن التي تغلف الشوق للوطن.
 - ❖ التأثر بفراق الأحبة والأهل.
 - ❖ اشتماله على لمحات إنسانية.
 - ❖ الأمنيات والأحلام بالعودة واللقاء.
- شعر الحنين إلى الوطن عند الأندلسيين :

حقا ، بلادي وإن جارت علي عزيزة ، -هذا إن جارت- تبقى دائما عزيزة ويبقى الحنين والشوق لها مهما كانت الأوضاع التي دفعت الأشخاص لمغادرة أوطانهم ، فما بالك إن لم يتعد أهلها ، ولم تجر فلم ولن يقدر الإنسان على نسيان والتنكر على وطنه ، وطرد حبه له مهما كانت الظروف...

فالحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب، من رقة القلب وعلامات الرشد؛ لما فيه من الدلائل على كرم الأصل وتمام العقل. فالحنين ليس مجرد كلمات، بل مشاعر متدفقة تعبر عن الحب العميق وتؤكد قوة الروابط الإنسانية حيث قال أعربي: "لا تشك بلدا فيه قبائلك، ولا تجف أرضا فيه قوايلك"، وقال آخر: "ليس الإنسان أقنع بشيء منه بوطنه، لأنه يتبرم بكل شيء رديء و يتذمم من كل شيء كرهه، إلا من وطنه وإن كان رديء التربة، كرهه الغذاء، ولولا حب الناس للأوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان.¹

وللعرب-خاصة الأندلسيين- نصيب كبير، وحظ وافر من الأشعار في هذا الفن، رابطين فيها بين الحنين إلى الأوطان، والحنين إلى الشباب وأيامه وذكرياته.

لقد قدر على الأندلسيون أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة بعد انتشار عقد الأندلس وسقوط معظم مدنه في أيدي النصارى، فقوض كثير من الأندلسيين خيامهم، ورحلوا عن وطنهم، وتركوا معاهدهم وديارهم، وفارقوا أهلهم وأحبابهم إلى غير رجعة، وتقاذفتهم البلاد والفلوات، وذاقوا مرارة التشتت والضياع، فألقى بعضهم عصى التيار في المغرب ورحل بعضهم إلى المشرق وكانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم، فجرى على لسانهم شعر كثير يصور هذه النزعة. ويصف ما كان يضطرم في نفوسهم من مشاعر الشوق والحنين إلى ديارهم، فمن ذلك قول ابن حربون.²

لِلَّهِ مَا هَاجَ لَمَعُ الْبَارِقِ السَّارِي *** عَلَى فُؤَادِ غَرِيبٍ نَازِحِ الدَّارِ
أَكْبَّ فِي الأفقِ مِنْهُ قَادِحُ عَمَلٍ *** يَنْقَدُ ثَوْبُ الدُّجَى عَن زَنْدِهِ الْوَارِي
كَانَ الصَّبَا وَطْرِي إِذْ كُنْتُ فِي وَطْنِي *** فَقَدْ فُجِعْتُ بِأَوْطَانِي وَأَوْطَارِي

وهذه الأبيات تصور مشاعر الحزن، والحنين إلى الوطن عند الشاعر مما جعله يعبر عن أحاسيسه، حيث وصف حاله بأنه صاحب قلبي غريب، بعيد كل البعد عن وطنه، مما يعكس معاناته في الغربة مما جعله فريسة سائغة بين أنياب الزمان، ونلمس فيها أيضا حدة الشعور بالغربة وتلك سمة عامة في أشعارهم إذ كانوا قريبي العهد بمفارقة وطنهم.

¹ صحيفة الأيام، الحنين إلى الوطن في الشعر الأندلسي، الأحد 18 نوفمبر 2025، أطلع عليه بتاريخ 21 مارس 2025 /س14:34.

² -فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، ص103.

وإذ بتجربة ابن حربون تعكس حالة فردية في الاغتراب، فإن أبا المطرف بن عميرة يصور هذه المعاناة من منظور أوسع معبرا عن الإحساس الجماعي للأندلسيين بالفقد والتشتت حيث يقول:¹

كفى حَزْناً أن تُطْعَرَ الخَيْلُ بالقَنَا *** وأُصْبِحَ مَشْدوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا
 إذا قُمتَ عَنَّا بِنِي الحَديدِ وَأُغْلِقْتَ *** مَصارعُ من دُونِي نُصِمْ المِنادِيَا
 وقد كُنْتُ ذَا مالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ *** فأصْبَحْتُ مِنْهُم واحِداً لا أِخا لِيَا

وقد ظلت الطبيعة الأندلسية تستثير في نفوس الشعراء أحاسيس الغربة والحنين ، فالشاعر المغترب لا ينسى ذكرياته وساعات لهوه التي قضاها بين أحضان الطبيعة ، ولا تفارق مخيلته مشاهد الجمال في وطنه وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في شعر الغربة .

فابن خفاجة الذي اضطر إلى ترك موطنه المحبب إلى قلبه "شقر" وكان ذلك نتيجة أحداث سياسية قد أجبرته على تركه ، وأيضا قد ترك بالنسيه بعد سقوطها في يد السيد القنبيطور

فما كان أمام ابن خفاجة إلا أن ينجو بنفسه ويرحل مع الجموع إلى عدوة المغرب.²

تشوق ابن خفاجة لمعاهده بشقر، وندب ماضيه فيها "وهو في هذه القصيدة يحن إلى شقر ويكيها متخذاً من الطبيعة وسيلة لبث أفكاره وعواطفه ؛ نادبا الأماكن التي كان يتردد عليها كالمرج والكنيسة والشط ، وفيها من الذكريات مالا يظن أن لن يعود . لقد بلغ تعلق ابن خفاجة ببلدته شقر حدا جعله لا يطيق صبرا عنها إذا ما كتب الله له فراقا أو بعدا ؛ وما أن خرج منها مضطرا ونذل غيرها من المدن حتى صدرت عنه قصائد في الحنين إلى جزيرته التي تنبض بصدق العاطفة ورهافة الإحساس وشدة شغفه بموطنه الذي لا يعادله شغف.³

¹ المرجع نفسه، ص 104 بتصرف.

² فتيحة دغموش، تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة ، رسالة لنيل مقدمة شهادة الماجستير ، 2004/2005، ص 34 بتصرف .

³ لحيدان ناصر محمود اللحيدان ، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع ، الجزء الرابع ، 2019م ص 501 بتصرف.

فيقول :

بين شقرٍ وملتقى نهرها *** حيث ألقى بنا الأمانى عصاها
ويغنى المكاء في شاطئها *** يستخف النهى فحلت حباها
عيشة أقبلت شهياً جناها *** وارفٌ ظلُّها لذيذٌ كراها

ومما سبق يتبين لنا أن الحنين إلى الوطن يعد ضرباً من الرثاء / البكاء، حتى وإن كان مرتبطاً بفقدان المدن أو حتى الأشخاص حيث ينبع الحنين من طابعه الزماني والمكاني، حيث يتصل إما بالماضي أو بأماكن معينة، وينتج عن ذلك استرجاع ذكريات قد تكون مبهمة للنفس لكنها سرعان ما تتحول إلى إحساس بالحسرة على تلك اللحظات المنصرمة.

الأغراض الجديدة أو المبتكرة :

الموشحات :

ظل الشعر العربي في المشرق والمغرب على القافية الرتيبة حتى عصر الخلافة بالأندلس في القرن التاسع الميلادي، حيث ظهر شعراء مجددون عملوا على تطوير الاتجاه الشعبي بحيث ظهرت بعض الألفاظ العامية في ثنايا القصيدة في هذا العصر. وبعد انتشار الغناء الذي تطور بشكل كبير بعد الاختراعات الموسيقية التي ظهرت على يد زرياب وغيره من الأندلسيين، وكان من الطبيعي أن يتطور معه الشعر، نتج عن ذلك لون جديد يدعى فن التوشيح .

يبني الموشح على المقطوعات الشعرية التي تنظم بصورة محكمة، تبدأ الموشحة بالمطلع تختم بالخرجة وهي القفل الأخير الذي لا يلتزم قواعد اللغة العربية، ومن خلال الخرجة التي كانت تنظم بالأعجمية أحياناً، استطاع الأوربيون في القرون الوسطى، أن يقتبسوا أكثر الأغراض التي وردت في الشعر العربي.¹

¹ محمد عباسة، اللهجات في الموشحات والأزجال، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 9، 2009، ص9.

الزجل:

وفي أواخر عصر الخلافة، اخترع الأندلسيون فنا آخر، يدعى الزجل. لقد نظموا الزجل بلغة مجردة من الإعراب ومزحمة بالكلمات التي هي من أصل محلي أو بربري. وكل ذلك ظهر بسبب التعدد الثقافي الذي عرفته الأندلس، واختلاط الشعوب الأندلسية ببعضها. الأمر الذي أدى إلى هذا التنوع الثقافي ضمن هذه اللغة والأدب الواحد.

يمثل الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح، وقد تباينت آراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، ولو أنهم يتفقون على أن الزجل وليد البيئة الأندلسية، ومنها خرج إلى الديار المغربية والمشرقية وانتشر فيها. وقد ظهر الزجل بعد الموشح إلا أن بعض الباحثين من عرب ومستشرقين يرون عكس ذلك¹.

إن الذين يرون أن الزجل سابق للموشح، انطلقوا من نص ابن بسام حول الموشحات الأندلسية القائل بأن محمد بن محمود القبري "كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة"² معتقدين في ذلك أن هذه الألفاظ وجدت في قصائد عامية، وأن الموشح يعد تطوراً لهذه القصائد. ولم يأتوا بدليل قاطع فيما يذهبون، لأن القبري لم يأخذ بيتاً من الأبيات وإنما كان يأخذ اللفظ من اللغة لا من القصائد، حسبما ورد في "الذخيرة"، ولعل مما ساعد على نشأة الزجل في الأندلس ما كان من شيوع الموشحات بين العامة والخاصة.

النشر الفني:

يعد النشر واحد من أشكال الكتابة المعتمدة عند العرب منذ القدم، ويرجح العلماء أنه سابق على نظم الشعر، ذلك أن العرب كانت تستخدم الجملة العربية الفصيحة في حياتهم للتعبير عن حاجاتهم وفي خطاباتهم أيا كان شكلها، إضافة إلى نظم الشعر كان يحتاج إلى متخصصين، فليس العرب جميعهم شعراء، بينما يستطيع جميعهم التعبير بعبارات وكلمات نثرية في ميادين الحياة

¹ آنخل جنثال بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1955، ص 143.

² ابن بسام الشنتزيني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1979، قسم 1، مج 1، ص 469

المختلفة، ومرت الفنون النثرية بتطورات كثيرة نتيجة للاختلاف في العصور ، ولاطلاع العرب على غيرهم من الأمم من أساليب فنية متعددة ناسبت الحياة المعاصرة لهم¹ ، وتعدد الكتاب على أثر ذلك ، وهذا ما سنلقي الضوء عليه في العصر الأندلسي.

الفنون النثرية في العصر الأندلسي وأصاليها:

° المقامات الأندلسية:

المقامة في أصل وضعها اللغوي تعني "المجلس" إذ يقال للجماعة من الناس يجتمعون في مجلس "مقامة" ومقامات الناس مجالسهم . ولم يلبث أن تطور هذا المفهوم فأصبحت المقامة تعني الأحداث بحيث إذا تجاوزنا المعنى اللغوي لكلمة مقامة وتطورها الدلالي (المجلس - الناس - الحديث في المجلس) إلى المعنى الاصطلاحي فيمكن تعريفها بأنها "قصة قصيرة الحجم تكتب بلغة موسيقية (إيقاعية) موضوعها يدور حول حدث واحد متخيل، وشخصياتها الثانوية محدودة، والبطل فيها إما أن يكون محتمل أو غير ذلك ... ويشاركه رواية يتعرف إليه أثر كل مغامرة، ويرويها عنه وتقع أحداثها في حدود معينة أو منطقة واحدة في زمن لا يتجاوز مقدار يوم وليلة.²

لقد ظهرت المقامات في المشرق بديع الزمان الهمداني (398هـ/1008 م) ثم هذا الحريري {516هـ/1122م} حذو فيه حيث شهد الأدب الأندلسي تطورا ملحوظا في فن المقامات، تأثرا بالنتاج المشرقي بعد أن درس عدد من الأدباء الأندلسيين هذا الفن في المشرق وعادوا لنشره في مواطنهم ، حيث أسهموا في إذكاء الاهتمام به عبر الشروح والتقليد والإبداع، يذكر أن ابن شرف القيرواني كان من الرواد الذين عارضوا مقامات بديع الزمان الهمداني خلال عصر ملوك الطوائف. بينما انتشرت مقامات الحريري لاحقا مع بداية العهد المرابطي، حيث نقلها من سمعها في بغداد إلى الأندلس. وقد تنوعت اتجاهات الأندلسيين في هذا الفن بين التقليد والمجازاة فانقسموا إلى من حافظ على الأطر التقليدية لمقامات الهمداني والحريري، وآخرين ابتكروا صياغات جديدة حولوا فيها المقامة إلى رسالة أدبية تتنوع موضوعاتها بين النقد الأدبي ووصف المدن والرحلات ، مع تركيز بعضها على

¹ زهراء عطايي كوزاني ، (2010/11/15) النشر العربي وأعلامه ، ديوان العرب أطلع عليه بتاريخ 2025/05/05 بتصريف.

² سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، ص 320 بتصريف.

قضايا شعرية كالغزل والمديح، ومن أبرز الأمثلة على الاتجاه النقدي مقامة ابن شرف القيرواني التي عارض فيها مقامة البديع "القريضة" متناولا نقد شعراء مثل امرئ القيس والبحثري وابن عبد ربه حيث حلل أساليبهم البلاغية وانزياحهم عن النمط السائد، في حين مثلت مقامات عبد الرحمان ابن فتوح - كما أوردها ابن بسام - نموذجا آخر للنقد الموجه إلى شعراء أندلسيين كابن برد و ابن شهيد مستندة إلى حوارات ذكية تجمع بين السد الأدبي والعمق النقدي، وقد أسهمت هذه الجهود في تكوين مدرسة أندلسية متميزة لفن المقامة، جمعت بين الأصالة المشرقية والخصوصية المحلية، مما أثرى المكتبة العربية وأكسب هذا الفن أبعادا جديدة في الشكل والمضمون...¹

إليكم مقامة عبد الرحمن ابن فتوح لتكون نموذجا حيا للمقامات في العصر الأندلسي:

وخلاصتها أن ابن فتوح كان يطوف بالمسجد الجامع بالمريّة، في ليلة من ليالي رمضان (سنة 430 هـ) وهو يردد بيتا من الشعر، فسمعه فتى حسن المظهر، فسلم عليه سلاما ارتاحت له نفسه واستحلفه إعادة ما قال فأعاده، فقال له أنت أخذته من قول العباس بن الأحنف:

وأحسن أيام الهوى يومك الذي *** تُرَوِّعُ بالهجران فيه وبالعتبِ
إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضًى *** فأين حلاوات الرسائل والكُتُبِ؟

ثم سأله عن السبب الموجب لترديده البيت، فأخبره أن ذلك كان لفراق حبيب مولع بخلافه، فدعا له الفتى بقوله: " قلب الله لك قلبه، وجنبك عتبه " ثم ولى عنه " وقد غرس في كبده ثمرة وده "

وإلى هنا يحكي ابن فتوح قائلا: "فت الليلة مستأنسا بخياله، جذلان بوصاله، حتى غرة الفجر... فلم ألبث أن سمعته ينشد ويطلب منزلي، فقرع الباب فأذنت له فدخل فرحبت به، وقمت إليه وأقبلت عليه، فقال لي: يا ابن الكرام، إن هذا يوم قد بكى ماء غيمه، ونبض عرق برقه، وخفق قلب رعد، واغرورقت مقلة أفقه، ونحن لا نجد الخمر، ففيم نقطع تأويبه؟ فقلت؛ الرأي إلى سيدي أبقاءه الله، فقال لي: كيف ذكرك لرجال مصرك، ووقوفك على شعراء عصرك؟ فقلت. خير ذكر. فقال: من أعذبهم لفظا، وأرجحهم وزنا؟ قلت: الرقيق حاشية الظرف، الأنيق ديباجة اللطف، أبو حفص بن برد. قال: فمن أقواهم استعارات، وأصحهم تشبيهات؟ قلت: البحر

¹ ينظر كتاب الأدب الأندلسي، أبو زيد سامي يوسف من الصفحة 321 إلى الصفحة 325

العجاج ، والسراج الوهاج ، أبو عامر بن شهيد ؟ قال : فمن أذكركم للأشعار ، وأنظمهم للأخبار ؟ قلت : أبو الوليد ابن زيدون . قال : فمن أكلفهم بالبديع ، وأشغفهم بالتقسيم والتتبع ؟ قلت " الراع في روضة الحسب ، المستطيل بمرجه الأدب ، أبو بكر يحيى بن إبراهيم الطيني ، فأنشد :

وخاطب قُستاً في عُكَاظٍ مُجَاوِباً *** على البُعْدِ سَحْبَانٌ فَأَلْجَمُهُ قَسٌ.1

الرسائل :

تعد الرسائل من الفنون الثرية التي حفلت بها الكتابة منذ القدم بحيث تطور هذا الفن عبر العصور ووصل إلى أوجه في العصر العباسي ، ثم طالته مواضيع وأساليب جديدة أضيفت له في العصر الأندلسي ، وقد تميزت فيه وتطورت إلى حد كبير . وسوف نعرض لأهم الرسائل التي وجدت في العصر الأندلسي بمختلف أنواعها ، مع نماذج لها توضح خصائصها وسماتها :

الرسائل الديوانية :

وهي تلك الرسائل التي تعالج شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة وشؤون الرعية ، ولاسيما أن الرعية من السلطان ، والرسائل الديوانية متعددة وكثيرة الأغراض، من أهم ألوانها رسائل التولية والتعيين ، رسائل التوجيهات والوصايا والأوامر الإدارية المختلفة إلى جانب التبصير بشؤون التنظيم الداخلي.²

ومن بواكير رسائل التولية والتعيين ، ما كتبه عقبة بن الحجاج السلوي إلى المهدي بن مسلم يوليه القضاء في قرطبة ، وذلك في عهد الولاة في الأندلس إذ كتب إليه يقول : " هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهد بن مسلم حين ولاه القضاء، عهد إليه بتقوى الله، وإيثار طاعته ، وإتباع مرضاته في سره وعلايته ، مراقبا له ، مستشعرا لخشية الله ، معتصما بحبله المتين ، وعروته الوثقى موفيا بعهده ، متوكلا عليه ... " ثم بين له الأحكام والقواعد العامة التي يجب أن يستقي منها أصول التشريع ، ويسير في ضوئها القضاء في مجلس الحكم " وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله

¹ سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ص 323/ 324

² فايز عبد النبي فلاح القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5 هـ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن الطبعة الأولى 1409هـ/1989م ص 111.

عليه وسلم إماما يهتدى بنورها يعيشو إليهما ،وسراجا يستضيء بهما فإن فيهما هدى من كل ضلالة"

ثم أسدى إليه عددا من النصائح ، وأوضح له كثيرا من الأمور التي يجب أن يلتزم بها القاضي في مجلس القضاة ، وما يجب عليه أن يتحلى به من شمائل وصفات تكفل تحقيق العدل.¹

لذا فقد عرفت هذه الرسالة كغيرها من رسائل التولية والتعين بشيوع الأوامر والوصايا المختلفة.

الرسائل الاخوانية :

وهي نوع من الرسائل التي يتبادلها الإخوان والأصدقاء ، وتتناول العلاقات الاجتماعية والتعبير عن المشاعر الخاصة، كالعتاب والشكوى والمدح و الرثاء والهجاء، إضافة إلى التهاني والتعازي والاستعطاف ولقد ساهم في انتشارها ظهور طبقة من الأدباء والكتاب الذين اهتموا بتحسين الألفاظ وابتكار أساليب بلاغية جديدة من أمثالهم: ابن برد الأصغر ، الفتح بن خاقان ، ولسان الدين بن الخطيب ، ولقد تنوعت موضوعاتها تبعا لتنوع المشاعر والأحاسيس التي يعبر عنها أصحابها، مما جعل الرسالة مرآة تعكس طبيعة العلاقات في العصر الأندلسي، ومن هذه الألوان نجد:

1/ رسائل العتاب : وهي نوع من الرسائل يلجأ إليها الكتاب لإزالة جفوة بين الأصدقاء

2/ رسائل الشكوى: وهي نوع آخر متفرع من الرسائل الإخوانية وفي هذا النوع الذي كان الكتاب يبعثون بها إلى أولياء الأمور ، ويشتكون عن سوء أحوالهم أو خصومات فيما بينهم.

3/ رسائل السؤال عن الصديق : وهي رسائل شبه عادية ، يبعث بها الكتاب لأصدقائهم للاطمئنان عن أحوالهم والسؤال عن أمور حياتهم محاولين التعبير عن مدى اشتياقهم لهم ، والصبر على فراقهم

وهكذا يتجلى لنا أن الأدب الأندلسي امتاز بكونه فضاء إبداعيا تفاعلت فيه التقاليد الأدبية العربية مع الموروثات المحلية والثقافات المتنوعة، بحيث أنتج لنا ديناميكية شكلية فريدة من نوعها ، حيث بدأ الشعراء الأندلسيون بالأغراض التقليدية كالممدح والهجاء ، محافظين على الأوزان الخليلية وقوالبها المألوفة لنا من قافية وروي ... ، لكنهم سرعان ما انطلقوا نحو آفاق جديدة فاخترعوا لنا ما

¹ المرجع نفسه ص 112.

أطلقوا عليه اسم الموشحات ببنيها اللحنية المميزة ، والأزجال بلهجتها العامية الجذابة والمرحة، وكما أبداعوا في غرض وصف الطبيعة الذي رغم وجوده سابقا إلا أن الأندلسيون أبداعوا فيه وذلك لسبب البيئة الأندلسية الجذابة التي سحرت النفوس.

لم يقف الإبداع عند حدود الشعر فقط، بل امتد إلى النثر الذي ازدهر بأساليب راقية تمثلت في الرسائل التي كانت جسرا للتواصل الفكري، وأيضا المقامات التي كانت تعتبر نافذة الحياة الاجتماعية بنقدها الساخر وحكاياتها الذكية ، وهكذا نجد الأدب الأندلسي قد مثل عن جسر بين التراث العربي ، والابتكار المحلي فجسد لنا مرونة في الشكل تناغمت مع التحولات التاريخية و الثقافية ، وأثبت أن الإبداع لا ينفصل عن حيوية المجتمع وقدرته على تمثيل هوية متفردة .

المبحث الثاني: الأدب نتاج تراكمي (تأثير وتأثر) :

تمهيد:

يعتبر الأدب الأندلسي إرثا ثقافيا فريدا ، وتجسيدا لتلاقح الحضارات وتداخل التأثيرات عبر قرون من التعايش الإنساني المبدع ، فقد شكلت الأندلس ستلك الجوهرة المتألقة في غرب العالم الإسلامي - بوتقة انصهرت فيها عناصر عربية وإسلامية مع تراثات بربرية وإسبانية ، وإنسابت بين جنباتها أنفاس يونانية وفارسية.

لم يكن هذا الأدب وليد لحظة عابرة، بل ثمرة تراكمية نضجت تحت سماء التسامح ، حيث تعانقت أصوات الشعراء والفلاسفة من مسلمين ويهود ونصارى ، لتصنع نسيجاً أدبياً مدهشاً في تنوعه.

برعت الأندلس في ابتكار فنون شعرية كالموشحات والأزجال ، ذكرناها سابقا ، التي عبرت عن روح المرحلة بانطلاقتها من القيود الكلاسيكية بينما أثرت كتب الأدباء "كطوق الحمام لابن حزم و"نفح الطيب" للمقرئ في الآداب العالمية ، بحيث لم يتوقف التأثير عن الإبداع المحلي ، بل امتد جسرا لنقل المعارف إلى أوروبا عبر حركة الترجمة ، ليكون الأدب الأندلسي شاهدا على حوار الحضارات والثقافات الخالد ومثال على كيف يولد الجمال من رحم الاختلاف.

تشهد الدراسات الأدبية المعنية بالأديب الأندلسي تطورا ملحوظا، حيث تسهم في كشف النقاب عن جوانب غامضة من إنتاجه وأدواره، ويعتبر كل بحث جاد خطوة تضاف إلى مسيرة البحث العلمي ، إذ يطرح الباحثون آراء جديدة تخضع للتحليل والنقد، مما يثري الحقل المعرفي ويعد تقدما مهما في فهم التراث الأندلسي.

سنحاول في هذا المبحث أن نسعى إلى تسليط الضوء على مدى تأثر الأدب الأندلسي بمختلف المراحل الأدبية التي سبقته، سواء في العصر الجاهلي أو الأموي أو العباسي، من حيث الأسلوب والمضامين وحتى الأغراض الشعرية كما سنحاول أن نلمح إلى الأثر الذي خلفه الأدب الأندلسي في الآداب العالمية.

أثر شعر المشرق على المغرب:

لابد لدارس الشعر الأندلسي في عصوره الأولى أن يقف بادئ ذي بدء على المؤثرات التي خضع لها الأدب بشكل عام ، حيث يرى حكمة الأوس أن أبرز ظرفين خضع لهما الأدب في القرن 2هـ يتمثلان في:¹

الظرف السائدة في الأندلس آنذاك ، والتي تميزت بالاضطراب و التنازع بين القبائل العربية المختلفة ، إلى جانب استمرار عمليات الفتح والتوسيع والتعامل مع سكان البلاد الأصليين .

التأثير المشرقي ، حيث كان أغلب الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، وقد حملوا معهم خصائص بيئتهم الأصلية من عادات وتقاليد و أشعار و ذكريات عميقة أثرت فيهم وفي نتاجهم الأدبي فانعكست هذه التأثيرات على الشعر الأندلسي بوضوح، و يضاف إلى ذلك أن الأندلسيين أنفسهم تأثروا بما عايشوه في حضارة المشرق ، فسعوا إلى محاكاتها في مختلف الجوانب، لاسيما في مجال الأدب و الشعر.

وبسبب هذه المؤثرات ، نشأت في الأندلس شخصية متميزة تجمع بين الأصالة و الابتكار ، وبرزت أنماط شعرية تعبر عن هذه الهوية الجديدة ، التي تطورت مع مرور الزمن ، خصوصا في فترات الاستقرار و النضج.

ومما يجذبنا أيضا ويجعلنا نؤيد تأثر الأندلسيين بالمشرق هو تعلقهم الواضح ببلاد المشرق حيث كانت أغلب الموضوعات الشوق والحنين إلى بلادهم بحيث كان هذا الغرض من الأغراض التي توسعت واشتهرت في العصر الأندلسي سبب انصراف الشعراء الأندلسيين إلى التعبير عن مدى تعلقهم وشوقهم إلى بلاد المشرق فكما نعرف أن أغلب من نزح إلى الأندلس جاء من المشرق.

¹ منجد مصطفى بمجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار الياقوت (ط، ن ، ت) عبدلي ، عمان ، الأردن الطبعة الثانية 2006 ص 68 بتصرف.

النشر:

- تأثر النشر الأندلسي بنظيره المشرقي في بدايته ،ففي عصوره الأولى كانت دواعي ذلك النشر كثيرة بسبب تأسيس الدولة الجديدة ،ومع هذا لم حفظ لنا المراجع الكثيرة من نشر هذه الفترة ،وكان الأمر نفسه ينطبق على شعر هذه المرحلة الذي كان امتداد الشعر في العصر الأموي وخصائصه ،فهو :

1/ ليس أندلسيا ولكنه قيل في الأندلس.

2/ يميل إلى الخشونة والبداوة وبساطة الأفكار والصور.

3/ مناسب لطبيعة الناس وظروفهم.

ومع ذلك كان نصيب النشر في عصر الولاة (92_138 هـ) أوفر من نصيب الشعر ودواعيه أكثر فالخطابة على سبيل المثال دائما ما تكثر في ظروف الحرب والصراع وكذلك الرسائل،وبالتالي تصبح الكتابة النثرية ذات أهمية كبرى،وقد كانت موضوعات النشر في تلك الفترة تدور حول الدين وشؤون السياسة ، وأمور القبائل ، والعهود والرسائل والتوقيعات،أما خصائصه فتعد امتدادا للنشر المشرقي أيضا بخصائصه التي تميل إلى الإيجاز والمباشرة،وبلاغة العبارة،وتجنب المقدمات الطويلة،والألقاب العديدة.¹

أما في عصر الإمارة فقد اقتصر النشر على أشكاله التقليدية أيضا كالخطب ، والوصايا ن والسبب في ظهور النشر بأشكاله التقليدية فقط لكي يتلاءم مع حياة الأندلسيين السياسية والاجتماعية في تلك الفترة ، وكان المشرق أيضا هو المصدر الأول لإتجاهات تلك الأشكال الأدبية ، لكن دخل النشر في هذا العصر، الغريب من اللفظ كمظهر من مظاهر الجزالة ، واعتمد على بعض الزخارف البديعية مثل: السجع ، الطباق ، الإقتباس ، لكن دون تكلف، ومن أبرز كتاب هذه الفترة نجد: فطيس بن عيسى ، وخطاب بن يزيد وغيرهم ...²

¹ وجدان المقداد ، مقرر النشر الأندلسي ، طلاب السنة الثالثة من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حماة ، سوريا ، 2016

2017/ م ، ص12 بتصرف .

² المرجع نفسه ،ص13.

تأثر الشعراء الأندلسيين بشعراء المشرق:

وعند ذكر أن هناك شعراء مشاركة أثروا تأثيرا بالغا في شعراء الأندلس نخص بالذكر الشاعر الكبير الذي حضى بدراسات كثيرة وهو الشاعر أبو طيب المتنبي والذي أطلق عليه شاعر العرب الأكبر لأن العصور الإسلامية التي سبقته لم تعرف شاعرا آخر في مستوى في مستوى قامته، ولكن لأن شخصية أخرى غيره، لم تؤثر على نحو واضح بما تلاها من شعراء كما أثر هو، ولأنه الشاعر الكلاسيكي الذي أبقى الحياة حتى الآن في أحاسيس الشعب العربي، فمن منا لا يعرف من هو المتنبي أو لا يعرف أحد قصائده فتأثيره بالغ في نفوس العرب سواء قديما أو حديثا . ومن خلال هذا نجد أن المتنبي قد أثر أيضا تأثيرا واضحا في نفوس شعراء الأندلس فقد تأثروا به وكتبوا على نمجه، نوعا ما، ومن أشهر الشعراء الأندلسيين الذين نرى فيهم شعر وأسلوب المتنبي نجد ابن هانئ الذي لقب هو الآخر "بمتنبي الغرب" ذلك لتأثره بالمتنبي من جهة وقدرته وأسلوبه ومحاولته للحاق بمتنبي الشرق من جهة أخرى.

ولم يكن ابن هانئ المتأثر الوحيد بل كان هناك أيضا شعراء آخرون أمثال ابن زيدون والذي من خلال إطلاعي على بعض من قصائده التمسيت أسلوب المتنبي فيها مما جعلني أدرك أن المتنبي كان من أكثر الشعراء الذين أثروا في شعراء الأندلس مما لا سبيل لنا الشك في ذلك.

المتنبي وابن هانئ :

إذا استثنينا الشعراء الجاهليين ، وكانوا المثل التقليدي الذي يحتذى به في المدارس دائما ، وعلى امتداد كل العصور ، ودون أي خلاف ، لتكوين الناشئة لغة وأدبا، فإن أي شاعر فيما بعدة عصر الجاهلية ، لم يؤثر ، على الأرجح ، في الشعر الغنائي للغرب الإسلامي، كما أثر فيه هذا الشاعر العظيم أبو طيب المتنبي.¹

¹ اميليو غرسيه غومث ، مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة الدكتور طاهر أحمد مكي ، دار المعارف - القاهرة - الطبعة السادسة 1996 م / 1418 هـ - ص 48 .

وعندما يحين الأوان لوضع مقارنة بين شاعريين أو رؤية ما مدى تأثر ابن هانئ ب أبو طيب المتنبي فلا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار احتكاك ابن هانئ بشعر المتنبي وأن نحدد في دقة تأثيره على أي شاعر سواء كان ابن هانئ أو أي شاعر أندلسي آخر.

- لقد أشار "بلاشير" إلى أول حقيقة دقيقة وثابتة هي أن عالما لغويا يدعى القزاز ألف في بداية القرن الخامس هجري / العاشر ميلادي ، كتابين عن المتنبي ضاع أحدهما وكان فيما يبدو إذا حكمنا عليه من عنوانه ، معاديا للشاعر ؛ وهو كتاب بعنوان (ما أخذ عن المتنبي) ، وفيما يتصل بالفترة التي سبقت القزاز ألقى بلاشير بعدة افتراضات " ثمة احتمال بأن تكون شهرة المتنبي بلغت مسامع المعز لدين الله الفاطمي ، وربما فكر في إغرائه أيضا بأن يجئ إليه ، عندما كان المتنبي في مصر، فلما توفي المتنبي وجد البديل في شخص الشاعر الإسباني ابن هانئ الذي ولد (321 هـ / 933 م) وتوفي (362 هـ / 973 م) فلما أصابت المنية ابن هانئ بدوره صاح الخليفة الفاطمي متأثرا "هذا رجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق".¹

ومن ذلك اليوم توأكب الشاعران ، "المشرقي والمغربي" في سيريهما وأطلق على ابن هانئ لقب "متنبي المغرب".

- يمثل أبو طيب المتنبي وابن هانئ الأندلسي أبرز رواد الاتجاه المحافظ الجديد في الشعر خلال القرن الرابع هجري ، هذا الاتجاه الذي رام به أصحاب العودة إلى الأسلوب الشعري القديم والاهتمام بالموضوعات التقليدية مع ربطها بالحاضر ، متمسكين في ذلك بوحدة الوزن والقافية وجزالة اللفظ ، ومستفيدين بالرقى العقل العربي لما بلغت الثقافة العربية والإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة ، فيعتبر هذا الاجتهاد محافظا في نهج القصيدة ولغتها وسياقها وروحها وأخلاقها ومجددا في معاني الشعر ، وصوره وأسلوبه وجماليته.²

لذلك نجد شاعرنا قد شاركنا من سبقهما في ولوج الأبواب الشعرية المعهودة من مدح وثناء وغزل وفخر و وصف و وهجاء وغيرها من الأغراض، وذلك بكل ما أوتيا من عبقرية واتساع مدارك وسمو إيجاء، أضفى على قريضهما لمحة شعرية قل نظيرها على مر العصور، تلك اللمحة التي جعلت

¹ المرجع نفسه ص 48 / 49 بتصرف

² علي محمد سلامة ، الأدب العربي في الأندلس : تطور موضوعاته وأشهر أعماله ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، 1998 ص 282 .

أعمالهما تترك بصمات في تاريخ الآداب، استأثرت باهتمام الباحثين في كل وقت وحين ليكتب لها المجد والخلود.

وفي هذا الصدد سنحاول استقصاء أهم أوجه التشابه بين شعر المتنبي وشعر ابن هانئ ، محاولين في ذلك إبراز ما مدى تأثير هذا الأخير بنظيره المتنبي.

1 / المديح:

بالنسبة لغرض المديح فيعتبر أكثر الأغراض التي كتب فيها المتنبي وابن هانئ خلال القرن الرابع هجري ، إذ عند إطلاعنا على ديوانهما نجد أن القسم الأكبر يشغل غرض المديح ، ولا عجب في ذلك فقد اتخذ جل الشعراء في ذلك العصر هذا الغرض وسيلة للعيش وبلوغ المجد ، وما دام المجد غاية الشاعرين كغيرهم من الشعراء ، فهما أيضا حاولا و ناضلا من أجل العيش الرغيد متوسلين في هذا النظم القريض كأداة لحرب المال والعطايا، التي تعتبر سببا في وصول مبتغاهما فنجد المتنبي يقول :

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ *** وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ¹

ويقول في موضع آخر:

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً *** وَأَكْبَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ²

ومثله يقول ابن هانئ :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه *** فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر

وبالهمة العليا يُرقى إلى العلى *** فمن كان أرقى همة كان أظهر³

ويعتبر ابن هانئ الأندلسي والمتنبي من أكثر الشعراء الذين أجادوا هذا الغرض بسبب طرقهما أبواب قصور الولاة والعمال والسلاطين طمعا في النوال والعطايا ، فالمتنبي في عرف في عصره بكثرة مدحه لعلية قومه ذ مدح نحو خمسين شخصا أكثرهم من ذوي الرتب العالية نذكر منهم : "سيف الدولة الحمداني " أمير حلب وقد خصه المتنبي بنحو ثلث ديوانه.⁴

¹ الواحدي : شرح ديوان المتنبي ، تحقيق عمر الفاروق الطباع ، ص 622.

² عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 4 ، ص 271.

³ زاهد علي ، تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي ، الطبعة الثانية ، 135 هـ ، ص 362 .

⁴ حنا الفاحوري ، تاريخ الأدب العربي ، منشورات المكتبة البوليسية ، الطبعة 12 ، بيروت لبنان 1978 م ، ص 613.

وهنا نجد إلى الإشارة أن المتنبي كان من أكثر الشعراء إجادة للمدح لدرجة أن لا أحد من من عصره أو حتى من تقدمه استطاع أن يبلغ فيه ما بلغه، باستثناء ابن هانئ الأندلسي الذي جاء شعره على شاكلته.

- نلاحظ أن الشاعر هنا، وكما هو الحال في أغلب الأوقات، يميل إلى المبالغة في تصوير فكرته التي تقضي أحيانا على الاصطدام بالعقل أو الذوق أو الدين، بحيث أن الشاعر يبالي كثيرا في مدحي من يمدحه، فيرفعه فوق مكانة البشر أحيانا حتى يحاول الوصول إلى مرتبة الألوهية، و أحيانا أخرى يرفعه لدرجة الأنبياء والصالحين حيث يقول :

فَمَا تَرَزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ *** وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقٌ
وَلَا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ *** وَلَا تَرْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقٌ¹

فيساوي هنا بين الله عز وجل و ممدوحه في صفة الإرادة في منح الرزق لعباده أو عدمها، والحق أن هذه الصفة يختص بها الله سبحانه وتعالى، إذ هو الوحيد الذي إذا أراد أن يرزق عبدا من عباده فلن يجرمه أحد، وإذا أراد أ، يحرم عبدا من عباده فلا رازق له سواه.

وفي مثل مبالغة المتنبي في تأليه ممدوحه نجد ابن الهانئ يقول مادحا المعز لدين الله الفاطمي :

مَا شَعْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ *** فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ²

يصل ابن هانئ من خلال هذا البيت بممدوحه، هو كذلك، إلى درجة التأليه، وقد أنكر عليه عدد من النقاد هذا الغلو رغم إشادتهم بشعره كابن خلكان الذي يقول في تعليقه على شعره: "ولولا ما فيه من الغلو والإفراط المفضي إلى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين"³.

على هذا النحو نجد الشعارين قد تميزا بحدة شعرية، حيث اتجها في مديحهما الى المبالغة والاستحالة في الشعر القديم، وقد تأتي لهما ذلك فضل قدرتهما الشعرية وحدة خاطرهما وبراعة قولهما.

إن حقيقة تشابه شعر المتنبي وشعر ابن هانئ من حيث موضوعاتهما وسماتهما الشعرية، لا يمكن لأي دارس للإنتاج الأدبي لهذين الشعارين أن ينكرها وقد حاولنا أن لا نتعمق أكثر في هذا الموضوع

¹ عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي الجزء 3، ص 311.

² زاهد علي، تبين المعاني في شرح ديوان ابن الهانئ الأندلسي، ط 2، 135 هـ، ص 361.

³ شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان، و إنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 4 ص 424.

فدراسته وتبين الشبه والاختلاف بين الشاعرين لن نستطيع استعراضه في بضع كلمات أو بضع صفحات فهذه دراسة تأخذ كتابا كاملا للانغماس في كل جوانبها، لذلك اقتصرنا على ذكر جزء يسير من غرض المديح الذي كان واحد من الأغراض التي كانت الأكثر شيوعا في عصر المتنبي وابن هانئ.

النزعة الفلسفية والتأملية:

لم تكن الفلسفة محبذة في البدء في بلاد الأندلس ، وهي التي ترى أنها أفضل للأقطار الإسلامية ، لأن الحروب لم تتوقف فيها ، وظل أهلها يحاولون قمع محاولات الفرنجة ، و الاسبان لمدة ثمانية قرون للمحافظة على الأندلس حتى وقع قدر الله في أواخر القرن التاسع ، لكن وصلت الأندلس إلى أن أصبحت درة الدنيا في الحضارة والفكر والفلسفة والفن ، وبلغ الفكر الفلسفي ذروة شامخة فيها وشغل العلماء كابن باجة وابن رشد وابن طفيل.¹

يعتبر ابن طفيل ، عالم الأندلس ، بحيث اعتمد عليه الخليفة ، لفهم كتب أرسطو وقد عرض فلسفته في قصة " حي بن يقظان " ، وهي من الكتابات التي تجلت فيها الفلسفة بحيث تخيلها عن طريق شخص نشأ في جزيرة ليس لديه لا أم ولا أب بل لديه ظبييه يعتبرها بمثابة أمه ، واستطاع بتفكيره العميق أن يتوصل إلى الإيمان المطلق بالله وحده ، ومن دون الاستعانة بمبدأ أو تعليم فالعقل المجرد يمكن أن ينتهي إلى ما يأتي به الدين السماوي (فالعقل والنقل يتفقان).²

أعجب الغرب بقصة ابن طفيل، فهي تدل على حيوية الفكر وبراعة الشكل وأثرت في الفلسفة تأثيرا بينا وساعدت على تطور الفلسفة في القرن السادس عشر ، فانقلبت الأمور في أوروبا بحيث كان الجهل مستشرىا.

ولكن ابن طفيل أدرك أن العقل يمكن أن يصل إلى أدق الحقائق ، فوصل الأمر عنهم (الغرب) تشييد الحقائق ، بينما انتقل المسلمون إلى عدم التفكير ، وهجر العقل ، والعودة إلى التراث ...

تأثير الأدب الأندلسي على الآداب العالمية:

والذي يستوقفنا في هذا المجال أن الحضارة الأندلسية كان لها الفضل الكبير في تطور الحضارة الغربية في نواحيها المختلفة من فكر وفن وأدب وعلوم وعمارة ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك ، إلى جانب

¹ وجدان المقداد ، مقرر النشر الأندلسي ، ص 56.

² المرجع نفسه.

المخلصين من المستشرقين الذين يقرون بهذا التأثير ، كماشارتهم في صحيفة مدرسة "أدنبرج": "إننا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك، فإنهم الحلقة التي وصلت مدينة أوربا قديما بمدينتها حديثا وبنجاحهم وسمو هممهم تحرك أهل أوربا إلى إحراز المعارف واستفاقوا من نومهم العميق في العصور المظلمة ، ونحن مدينون لهم أيضا لترقية العلوم والفنون النافعة".¹

واستطاعت نظرة هؤلاء أن تفرض نفسها على ساحة الفكر وأن تصحح الكثير من الأخطاء والأفكار الثابتة وتتلخص هذه النظرة في: "مدى الغنى الفكري والحضاري الذي بلغته الأندلس في القرون الوسطى".²

ومن هنا نستطيع القول :

إن الوجود الفعلي للعرب بقي قائما في شبه الجزيرة الاسبيرية على مدار 9 قرون من الزمن ، وهي فترة كافية لتأثير العرب في الاسبان خاصة وفي أوروبا عامة ، وما نود الإشارة إليه أن إسبانيا كانت معبرا انتقلت منه الحضارة العربية إلى أمريكا ، إذ استطاعت أن تتوسع في إتجاهين:

1_الاتجاه الأول :

كان نحو القارة الأوروبية عندما أقامت إمبراطورية فخمه هيمنت على جزء كبير من أوربا في ظل الأسرة النمساوية de los austries casa.

2_الاتجاه الثاني :

كان نحو أمريكا التي تم اكتشافها في العام نفسه الذي سقطت في غرناطة (1492 م) في أيدي الملكين الكاثوليكين : " فرديناند الخامس ملك أرغون، و إيزابيل ملكة قشتالة ولبون"³

مجالات تأثير الثقافة العربية الأندلسية في الغرب :

1 / مجال الأدب والفلسفة: في هذا المجال نجد تأثير الشعر العربي في الشعر الغنائي الأوربي الذي أول من أشار إليه الأب اليسوعي الإسباني "خوان أندريس" الذي أكد لنا أن " قواعد التقفية التي

¹ محمد عبد المنعم خفاجي ، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان 1992م ، ص9.

² خميسي حميدي ، الحركة الأدبية في اشبيلية لزمان بني عباد ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، دمشق ، ص61 .

³ بصالح خديجة ، تأثير الثقافة العربية الأندلسية في الفكر الأوربي ، قسم اللغة والأدب العربي جامعة عين تموشنت الصفحة الأولى.

اتبعتها الشعر الشعبي إسبانيا كان أو بروفانسيا وأساليب صياغة الشعر الحديث ونظمه إنما هي مأخوذة عن العرب".¹

تخاصم المستشرقون فيما بينهم فمنهم من أيد فكرة أن الشعر الأوربي تأثر بالشعر العربي ومنهم من أكد أن الشعراء البروفانسين الفرنسيين (شعراء التروبادور) هم أول من عالج الشعر الغنائي في أوروبا ونفوا تأثيرهم بالعرب أمثال "خوليان ريبيرا"

من أهم الشخصيات العربية التي تركت أثرا واضحا على الثقافة الأوربية: "ابن حزم القرطبي" صاحب المؤلف الشهير "طوق الحمامة" التي سرت أفكاره في الحب وماهيته وأنواعه في الحياة العاطفية الأوربية على نحو واسع ، وخير ما يؤكد ذلك ما يذكر "غومس غارسيا" في معرض رده على الذين أنكروا أثر العذرية العربية في الأدب الأوربي فيقول : "إن شعراء الأندلس من بغداد إلى مرسية ، أقاموا قرونا ثلاثة يتفننون بالحب العذري ، ويحللون ، ويرسمون له مناهج ، تلك هي الحركة التي انتقلت من قرطبة إلى بروفانس (جنوب فرنسا) ، لتلهم البروفانسيين ما سموه بالعلم البهيج ، والتي أوحى إلى (جويدا جينزلي) أستاذ (دانتي) أسلوبه العذب الجميل ..."²

2 / مجال الفلسفة والفكر: إن الحديث في هذا المجال يتجه إلى الفيلسوف "ابن رشد" الذي نال اهتمام الأوربيين فقد برع ابن رشد في كل من مجال الطب والفلسفة، وبلغ من تأثير أعماله على الغرب حدا ، اعتقد العالم الغربي في القرن الخامس عشر (9 هـ) أن نور المعرفة لم يكن يصور من المشرق بل من الأندلس.³

وقد كثرت المجالات التي كانت محل تأثير على الغرب من مجال علم الفلك، إلى العلوم التطبيقية ، وحتى مجال الطب كان له النصيب الكبير من هذا التأثير .

إن الثقافة العربية الأندلسية المتعددة و المتنوعة بتأثيرها ، قد توسطت ما بين لبطن العربي و أوروبا ، تنشر المعربة في أنحاء أوروبا كافة ، ممهدة بذلك الطريق إلى النهضة الغربية ، وذلك جد طبيعي لأن فكرة الحضارة الإنسانية هي نتاج المسعى الإنساني في العصور كلها.⁴

¹ حسين مؤنس ، تاريخ الفكر الأندلسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1955 ص 485 / 486 .

² غومس غارسيا ، الشعر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، ص 87.

³ بصالح خديجة ، تأثير الثقافة العربية الأندلسية في الفكر الأوربي

⁴ المرجع نفسه .

المبحث الثالث: الأدب الأندلسي بين التقليد والتجديد (الموشحات والأزجال)

يعد الشعر الأندلسي من أرقى الفنون التي تعكس التفاعل الحضاري والثقافي الذي شهدته الأندلس آنذاك ، بحيث جمع الشعراء الأندلسيون بين عناصر الأصالة الشرقية ومظاهر التجديد، فقد حافظ هؤلاء على الأوزان الخليلية والمعاني الكلاسيكية في مطالع قصائدهم، تأثر بالشعر الجاهلي والعباسي وما سبقهم منه، مما يظهر لنا ما مدى تمسكهم بالأصول الفنية العربية، إلا أن البنية الأندلسية من حيث الطبيعة الخلافة ، والانفتاح على الثقافات الأخرى المختلفة ، دفعت شعراء الأندلس إلى ابتكار أساليب جديدة كالموشحات والأزجال، مما أضفى على الشعر الأندلسي طابعا حداثيا فريدا من نوعه . بحيث تمثل ثورة على عمود الشعر التقليدي إذ تختلف من حيث البناء والإيقاع واللغة، ما يعكس التوجه نحو التجديد مع الحفاظ على الروح العربية الأصيلة، وهكذا فإن الشعر الأندلسي يشكل حلقة وصل بين التراث والتجديد، ويعد مرآة صادقة للحضارة الأندلسية الزاهرة بالتنوع والإبداع .

الموشحات والأزجال :

تعد الموشحات فنا شعريا أنيقا اتخذ أشكالا بعينها في نطاق التجديد في الأوزان والقوافي ، إذ خرج عن بنية القصيدة التقليدية . وكان ظهوره في الأندلس، فقد استحدث الأندلسيون ثم انتقل إلى المشرق العربي والمغرب على سواء . واتسع هذا الفن وتعددت أغراضه ، وجعله الأقدمون واحدا من فنون الشعر التي حصرها الأبشيهي في الشعر القريض ، والموشح والدوبيت والزجل والمواليا ، وكان كان ، والقوما ، ويتفق الأقدمون على أن الموشح فن أندلسي خالص ، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله : وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهدبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التتميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح "1 .

أولا : تعريف الموشحات : جمع موشح ، وقد عرفه ابن سينا الملك بقوله "الموشح كلام منظوم ، على وزن مخصوص ، بقواف مختلفة ، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ، ويقال له : الأقرع ، مبتدأ فيه بالأقفال ، والأقرع مبتدأ فيه بالأبيات "

¹ سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الطبعة الأولى ، 2012م ، 1433 هـ ، ص 99 .

والموشح لغة: مأخوذة من الوشاح ، وهو من حلي النساء ولعلمهم شبهوه بوشاح المرأة الذي يتسم بالتنميق والتجميل ، وهو "عقد لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر" ، والجامع بين الوشاح والموشح هو التشابه في التجميل ، فهذا الأخير يجمل بالتنويع بين أفعاله وأدواره في الوزن والقافية أما الآخر وهو الوشاح فيجمل بما يرصع عليه الجواهر وأيا كان الأمر ، فإن مؤرخي الأدب عللوا هذه التسمية بما تتحمل به المرأة من وشاح أو ثوب مزين ، واتفقوا على أن هذا الفن هو فن أندلسي خالص.¹

الموشح في الاصطلاح: إن المفهوم الاصطلاحي لهذا الفن مرتبط بالمفهوم اللغوي ، بحيث أن الموشحة في الاصطلاح الأدبي نوع من النظم يشبه الوشاح الذي يتخذه الرجل أو المرأة للزينة والجامع بين المعنيين مقرون بفكرة التجميل المنوع، المعتمد على التقابل، فهو يتألف من فقرات مختلفة العدد والمقاطع.²

نشأة الموشحات:

مما لا شك فيه أن حياة اللهو والمجون ولانتشار السمر والغناء في الأندلس أثرا في اختراع الموشح وظهوره في تلك الأرض ذات الطبيعة الوارفة الظلال التي احتضنت تلاقي الحضارات وتمازج الألسن والنغمات ، فكانت الموشحة ثمرة ناضجة لهذا الانصهار الثقافي فجاءت تحمل في طياتها عبق الحدائق المزهرة وأصداء

العيدان في المجالس الأندلسية ، فتزاحمت فيه الأصوات واللغات ، انكسرت من خلال ظهورها رتابة القصيدة العمودية ، ليولد من رحمها شكل في أكثر حرية ...

نشأت الموشحات الأندلسية، مع أواخر القرن الثالث هجري بإجماع الأقدمين ابتداءً بآبن بسام {542هـ} في الذخيرة، إذ عد أهل الأندلس هم الذين وضعوا حقيقة صنعة التوشيح ونهجوا طريقتها، وانتهاءً بالمقري في نفح الطيب مروراً بعبد الرحمن بن خلدون في مقدمته إذ قرر أنهم كانوا

¹ المرجع نفسه ص 101/100 بتصرف.

² د. منجد مصطفى بمجت ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة 897/92هـ ط ن ت دار الياقوت ، العبدلي ، عمان ، الأردن الطبعة الثانية، 1427هـ / 2006م ، ص 299 بتصرف .

ينظمونها أسماطا وأغصانا أغصانا ثم استظرفها الناس وأول من ابتكر هذا الفن فيما يذكر ابن بسام في كتابه الذخيرة هو محمد بن محمود القبري في حين يذكره ابن خلدون باسم آخر هو مقدم بن معافى القبري.¹

أما الحجازي وهو صاحب المسهب فقال: " كان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبري ، من شعراء الأمير عبد الله ابن محمد المرواني وأخذ عنه ذلك احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لهما من المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما"² ، ومع هذا كل التضارب في الآراء لم يعرف على وجه اليقين من كان سبقهم إلى اختراع هذا الفن.

وعلى أية حال قد ارتبطت نشأتها بالغناء والأغاني الشعبية التي لم تكن عربية فحسب ، وإنما استمدت من الأشعار الإسبانية العامية وأخذة كثيرا من الخرجات والتعابير . ثم اكتملت على يد عبادة بن ماء السماء { 419 هـ } فكان "شيخ الصناعة وإمام الجماعة ، سلك الشعر مسلكا سهلا . فقالت له غرائبه مرحبا وأهلا"³.

أسباب ظهور الموشحات :

تعددت الأسباب حول ظهور الموشحات بحيث حاولنا تلخيصها في عناصر التي جاءت كالآتي:

° امتزاج العرب بالأسبان : لما امتزج العرب بالأسبان أخذوا من الثقافة الإسبانية طريقة لبناء قصيدة تصلح وتسهل للغناء وهو ما يقابل " الرجز" قديما حيث كان العرب في العصر الجاهلي وما بعده إذا أرادوا أن يسيروا في قوافل فلا بد لهم من غناء يؤنسهم فكانوا يرجزون.

° جمال الطبيعة الأندلسية وسحرها: ولأن الطبيعة كانت تسحر النفوس فبتالي الشاعر كان يميل إلى الخفة حتى يجد ما يصلح للغناء وهو هذا الفن ...

° اهتمام الشعراء بها: اهتم شعراء الأندلس بأشعارهم مما لا بد له من التطور والدخول في مراحل جديدة حتى تم اكتشاف هذا الفن ..

¹ د. سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، ص 101

² فوزي عيسى ، في الأدب الأندلسي ، ص 222

³ سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ص 102

° انتشار الغناء والطرب : وأخيرا نعرف كلنا أن العصر العباسي والأندلسي شاع بهما الغناء والطرب والرفاهية فبتالي استمالوا إلى الغناء الصاحب من اجل الترويح عن النفس مما جعل الغناء احد ابرز الأسباب التي أدت إلى نشأت هذا النوع من الأشعار.

بناء الموشحات:

يتألف الموشح من حيث بناءه الفني من أجزاء معينة اصطلاح عليها الوشاحون والتزموا بها في صنع موشحاتهم وهي المطلع {المذهب} ، والقفل ، والخرجة ، والغصن ، والدور ، والسمط ، والبيت ، وتتناول هذه الجزاء في نطاق الترتيب السابق مع التمثيل بأجزاء من بعض الموشحات لأبي بكر عيسى الداني أحد شعراء بني عباد في القرن الخامس ، يمزج فيها بين المدح والغزل :

المطلع : وهو مايفتح به الموشح ويتألف من شطرين { غصنين } أو أربع أشطر {أغصان} ويسمى الموشح "تاماً" إذا بدأ بالمطلع أو القفل الأول فإذا خلا منهما سمي "الموشح الأقرع" .
الدور : وهو الجزء الذي يأتي بعد المطلع وقبل القفل ، بحيث يتألف من ثلاثة أقسام أو أكثر بشرط أن تكرر بالعدد نفسه في بقية الموشح و أن تكون من وزن المطلع ولكن بقافية مختلفة عن قافيته وتلتزم في أشطر الدور.¹

القفل : يطلق اسم القفل على مجموعة الأشطار المكونة للموشح الأندلسي ، ويجب أن تكون هذه الأشطر متطابقة من حيث القافية مع المطلع.

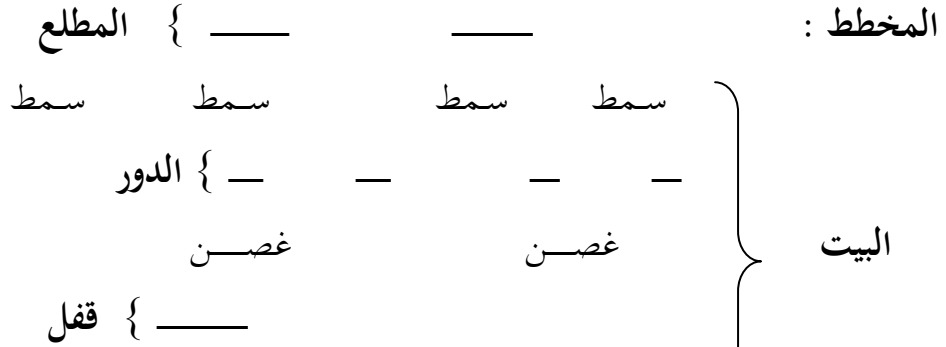
الخرجة : يطلع هذا الاسم على آخر قفل في الموشح الأندلسي مع ما يسبقها من أقفال أجزاء أساسية من بناء الموشحة ، والخرجة انقسمت إلى نوعان وهما : إما أن تكون معرفة أي فصيحة اللفظ ، أو تكون زجلية أي عامية أو أعجمية الألفاظ وهي المفصلة المستحسنة...

البيت : وهو الذي يتألف من الدور والقفل الذي يليه ، وجاء هذا مختلفا عن القصيدة التقليدية التي يتكون البيت فيها من {صدر وعجز} .

¹ د سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي ص 103.

الغصن : وهو الاسم الاصطلاحي لكل شطر من أشطر المطلع أو الأقفال أو الخرجة ويبين ذلك أكثر في المخطط القادم.

السمط : وهو الاسم الاصطلاحي لكل قسم من أقسام الدور .
والآن بعد أن فصلنا في مصطلحات الموشح نحاول وضعها في مخطط يساعدنا على الفهم أكثر.



الغصن : شطر من مطلع أو قفل أو خرجة

المطلع : يتألف من غصنين أو أربعة أغصان

السمط : قسم من أقسام الدور

الدور : يتألف من ثلاثة أسماط أو أكثر

البيت : الدور + القفل الذي يليه

القفل : يلي الدور

الخرجة : آخر قفل في الموشح

ملحوظة: قد ترتب الأسماء بشكل عمودي ، على النحو التالي

سمط

سمط

سمط

¹ د. سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ص 104 .

أوزان الموشحات:

تميزت الموشحات الأندلسية بتنوع إيقاعاتها وتحدد أوزانها ، ما منحها طابعا فنيا خاصا يختلف عن النمط التقليدي في الشعر العربي العمودي ، وقد شكلت هذه الأوزان امتدادا لما وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي . لكنها تميزت ببنية أكثر مرونة وتطويعا للغناء والموسيقى ، فقد أشار ابن سينا الملك في كتابه " دار الطراز " إلى أن الموشحات من حيث أوزانها تنقسم إلى قسمين :

° ما جاء منها على أوزان الشعر المعروفة وهي نوعان:

النوع الأول : وهو الذي تلتزم فيه الأفعال والأبيات بعدم الإحلال بالوزن الشعري ، بحيث أتى الكلمات في الفقرات المختلفة منسجمة مع التفعيلات ، دون أن تخل بالإيقاع ، ويعد هذا النوع هو الأصل الذي لا يتجاوزه سوى الشعراء المتمكنين ، ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في موشحة ابن زهر الحفيد على بحر الرمل ويقول :

أَيُّهَا السَاقِي إِلَيْكَ المِشْتَكِي *** قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

النوع الثاني : يظل محافظا على الوزن عموما ، لكن قد تخرج فيه كلمة عن الإيقاع التام بسبب زيادة حركة أو نقصها ، كأن تكون الكلمة متضمنة كسرا أو ضمة أو فتحة تترك الميزان العروضي ، مما يجعل الشعر لا يستقيم عروضيا ، ويعتمد هذا الأسلوب غالبا عندما تكون الكلمة شديدة الارتباط بالمعنى أو القافية مثال ذلك قول ابن بقي :

يا ويح صبُّ إلى البرق له نظرٌ *** وفي البكاء مع الورق له وظرٌ

فالببت هنا على وزن البسيط ، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الخفض في "البرق" و "الورق" أخرجه عن وزنه .

° ما جاء على غير الأوزان المألوفة:

يعد هذا النوع من الأوزان واسع المجال، ولا يمكن ضبطه ضمن قوالب عروضية معينة وفي هذا قد أشار ابن سينا الملك حيث قال : " وكنت أردت أن أقيم لها - لموشحات هذا النوع - عروضاً يكون

دفتر حسابها ، وميزانا لأوتادها وأسبابها ، فعز ذلك وأعوز ؛ لخروجها عن الحصر ... " مما يدل على صعوبة إخضاع هذا النمط إلى نظام عروض الشعر التقليدي .

وقد شاع استعمال هذه الأوزان دون تسميات محددة ، ويمكن تقسيمها إلى صنفين رئيسيين:

أولهما : ما لا يخضع لأي وزن معروف ، بل يرتبط أساسا باللحن ، والثاني : ما كان بحاجة إلى لفظ لا معنى له فيكون دعامة للتلحين وعكازا للمعنى كما في قول ابن بقي :

من طالب ثار قتلي / ظبيات الحدوج فتانات الحجيج

فإن التلحين لا يستقام إلا بقول (لا لا) بين الجزئيين الجيمين من هذا الوزن، كما أشار ابن سينا الملك إلى ذلك في قوله : " لولا التلحين لما استقام"¹.

فنون وأغراض الموشحات:

ارتبطت الموشحات في بداياتها بالغناء، فكاد يكمل كل منها الآخر ، وأول الفنون التي ظهرت بها الموشحات هو الغزل الذي كان قد إتجه إليه الشعراء فوصفوا مجالس اللهو والشراب ومظاهر الطبيعة وغيرها ن ومع مرور الوقت تعددت فنون الموشحات فقد أدخل الوشاحون الكثير من الأغراض للموشح ونظموا فيه ومن هذه الفنون المدح ، الرثاء، الهجاء، التصوف والزهد وغيرها ... وهو ما أشار إليه ابن سناء الملك في قوله : " والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد ..."²

وبذلك كان للموشحة مكانة رفيعة في الشعر العربي ، فتغنى الوشاحون بجمال طبيعة الأندلس أمثال ابن زمرك وابن عتبة وأبي جعفر بن سعيد وغيرهم من الوشاحون الأندلسيون.

وسنحاول أن نعرض من هذه الموشحات ونفصل أكثر في هذه الفنون ونبدأ بالغزل :

الملحوظ أن أقدم نصوص الموشحات التي وصلت إلينا ، وهي المنسوبة لعبادة بن ماء السماء، تدور أساسا حول موضوع الغزل، ونعني بذلك الموشح الذي يقول فيه :

¹ ينظر دار الطراز لابن سينا الملك ص 38/23.

² ابن سينا الملك ن دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق ونشر جودة الركابي ، دمشق ، 1949/1368 ص 38.

من ولي في أمة أمرا ولم يعدل

يعذل إلا لحاظ الرشأ الأكحل

وفي هذه الموشحة الجميلة يتوسل العاشق هاتفا في المحبوب ألا يجور في حكمه ، وأن ينصف ويرأف ، ويدعوه أن يعلله بقبلة تروي غليله ، ثم نرى لوحات تفصح عن مدى حسن هذا المحبوب الذي لا يبرز إلا لكي " يوقد نار الفتنة " والذي قد يجعل " بالحسن من الرشد غي " ...

وهذا كله من المعاني المألوفة التي لا تضيف جديدا إلا ما قال الشعر التقليدي ، وما ترنم به الشعراء الشعبيون ، وإنما الذي يميز الموشحة تلك الحدة الشعبية وذلك النغم المتدفق الحار، المائل في هذا الفيض من المقاطع القصيرة التي تتابع في عفوية وحيوية وهذا الذي سقناها ينطبق على موشحة ابن ماء السماء الثانية.¹

حب المها عبادة من كل بسام السوار

قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنة الأبدع

لله ذات حسن مليحة الحيا

اثر البيئة على الوجدان الشعري :

لم يستطع الوشاحون اللحاق بشعراء القصيدة التقليدية في وصف الطبيعة ، ذلك أن كبار الشعراء من أمثال ابن خفاجة وابن زيدون والمعتمد بن عباد ومن إليهم عزفوا عن طرق باب الموشحات ترفعا وكبرياء ، وكذلك امتزجت في الموشحات عدة موضوعات ، استدعتها البيئة الأندلسية ، فوصف الطبيعة ومجالس الشراب والغزل ، موضوعات امتزج بعضها ببعض ووجدت طريقها إلى الموشح² .

فمن ذلك (الكमित) في وصف بديع الرياض والأزهار ذات العطور:³

لاح للروض على عز البطاح زهر زاهر

¹ محمد زكريا عناني ، في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية 1995 م ، ص 190 .

² سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، ص 113 .

³ سيد غازي ، ديوان الموشحات الأندلسية . ص 62 .

وثني جيدا منعم الأفاح
نوره الناظر
زارني منه على وجه الصباح
اربح عاطر
حب ذاك البشر لي عند افتتاح
وجنة الورد
ونرى ابن الصيرفي يقول أيضا¹:

طلعت من مباسم الزهر
نزهة الأعين
وأثنت على سلافه الفطر
أعطف الأغصن
يا صبا نبهتي مع الفجر
نفحة السوسن

المديح:

يعد المدح من الأغراض الشعرية الهامة التي حظيت بمكانة معتبرة في الأوساط الأندلسية ، خاصة وأن نشأة الموشحات ارتبطت بمجالس السمر والغناء ، والتي كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء فسعى المشاهير إلى كسب ودهم والحصول على العطايا عن طريق مدحهم ثم تطور واتسع في الموشحات لاسيما في عصر الموحدين . كما أشار إلى ذلك عيسى بقوله: "ولكن موشحات المدح راجت رواجاً كبيراً في عصر الموحدين ، فاتسع ميدانها ونفعت بضاعتها وتنافست البلاطات والعواصم في اقتنائها فكيف بها أمراء الموحدين الذي كانوا على قدر كبير من الأدب والثقافة"²، فاجتذبت أبلطتهم في العواصم الأندلسية عدداً كبيراً من الموشحين .."

ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن «أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت (بوصف الطبيعة والغزل والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح» ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح ، وهي للوزير أبي عامر بن ينق ، ذكرها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» وأولها :سراج عدلك يزهر

¹ المرجع نفسه ص 465.

² فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الأولى 2007 م ص 375 .

قد عم كل العباد

ونور وجهك يهر

سناه للخلق باد

المديح بعد هذا المطلع (أو القفل الأول) في بقية أجزاء الموشحة:

أنت العزيز الأبى

والملك ملك الأنام

أنت السراج الوطى

والبدر بدر التمام

ليث إذا ما الكمى

قد هاب روع الحمام

والخرجة في هذه الموشحة باللغة الفصحى، ونصها :

يا حبذا منه منظر

بالنور باد وهادي

كأنه الصبح أسفر

على جميع البلاد¹

¹ د. محمد زكريا عناني، الموشحات الأندلسية، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يضرها المجلس الوطنى للثقافة، الكويت تاريخ النشر 1980 ص53.

1/ تعريف الزجل لغة واصطلاحاً: الزجل في اللغة: هو رفع الصوت والتطريب "يقال زجل زجلاً طرب وتغنى ورفع صوته وأجلب، وزجل الجن عريفها، والزجل جمع زجل: الجماعة من الناس، و الزجلة جمع زجلات: صوت الناس وضجيجهم.¹

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور تحت مادة زجل: "إن الزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت، وخص به التطريب.²

الزجل في الاصطلاح: ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والتقنية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب التقنية إلا نادراً، يعد الزجل بهذه الصورة موشحاً ملحوناً إلا أنه ليس من الشعر الملحون وقد كتب بلغة ليست عامية بحتة بل هي مهذبة وإن كانت غير معربة.

2/ نشأة الزجل:

لم يهتم القدامى كثيراً بالحديث عن الطور الأول من أطوار الزجل، وقد اكتفى ابن سعيد في "المقتطف" بأن ذكر العبارة التالية:

"قيلت بالأندلس قبل أبي بكر بن قزمان، ولكن لم تظهر خلالها ولا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه"³، أي في القرن السادس الهجري، لأن ابن قزمان توفي سنة 555هـ.

أما ابن خلدون فإنه يجعل الزجل ثمرة من ثمار تطور الموشحات وهو يقول في هذا الموضوع: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ الجمهور بسلاسة وتنميق كلامه وترصيع أجزاءه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحصرية، من غير أن يلتزموا فيها

¹ لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار المشرق، ط 33، بيروت 1992، ص 294.

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (د.ت) بيروت (د.ت) مج 11 ص 294.

³ محمد زكريا عناني، في الأدب الأندلسي ص 225.

إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال يحسب لغتهم المستعملة".¹ .

ويتضح من كلام العلامة ابن خلدون أن الزجل الأندلسي نشأ تقليدا للموشح فير أنه لا يمكن الاعتقاد أن الشعراء لما عجزوا عن تنظيم الموشح ، نظموا فنا بعامية أهل الأندلس وسموه "الزجل" لأن الذين أنشئوا الزجل لأول مرة هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة ، وينتمون إلى الطبقة الوسطى وليس العامة ، وكان لاختراع هذا النظم تلبية لحاجة العامة في القول الرفيع والغناء المنسجم.

وأضاف ابن خلدون قائلا في مقدمته : "وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان وإن كانت قيلت في الأندلس ولكن لم تظهر حلاها ، وانسكبت معانيها ، واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه وكان لعهد المثلثين ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق ، قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مروية بغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب . قال : وسمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة ... " ² .

وبعد استعراض ما سبق ، يمكن استخلاص نتيجتين رئيسيتين : الأولى تتمثل في أن أبا بكر بن قزمان ، الذي توفي عام 555هـ ، وعاصر عصر المرابطين في الأندلس يعتبر الرائد الأول في تطوير فن الزجل وإبداعه ، أما الحقيقة الثانية فهي أن الفن كان متداولاً في الأندلس قبل ظهور ابن قزمان ، وإن لم يبلغ مستوى الإتقان الذي حققه هو.

وقد أكد ابن قزمان نفسه على وجود الأزجال قبله كما ورد في مقدمة ديوانه حيث قال : ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ، ويعظمون أولئك المقدمين ، ويجعلونهم في السماك الأعزل ، ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأزجل وهم لا يعرفون الطريق ويذرون القبلة ويمشون في التغريب والتشريق

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق المستشرق كاتر مير ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت ، عن طبعة باريس سنة 1858م ، الجزء الثالث ص 404.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق، ص 404.

ويأتون بمعان باردة، وأغراض شاردة، وألغاز شياصينها غير ماردة، وبالإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل، وأثقل من إقبال الأجل".¹

من هذا النص يتضح لنا أن شعراء الأندلس سبقوا ابن قزمان في محاولاتهم لصياغة الزجل، لكنهم لم يصلوا إلى درجة إجادته وإبداعه، مما جعله يتميز بالصدارة والشهرة في هذا المجال. فبقيت محاولاتهم دون ما حققه من رقي فني، فلم يضاهيه أحد في منهجه أو يجازيه في فنه.

البناء الفني للزجل:

تشابه قصيدة الزجل مع القصيدة التقليدية في البنية الأساسية من حيث الوزن والقافية والتصريح، لكنها تتميز عنها باستخدام اللغة العامية واللحن المختلف وغياب الإعراب، ويرى صفي الدين الحلبي أن الأزجال بدأت كقصائد بسيطة ذات قافية موحدة، دون تغيير في اللفظ، وسميت "القصائد الزجلية"، كما أشار ابن خلدون إلى أن الزجالين استخدموا العامية في نظمهم لسائر البحور الشعرية، مع التركيز على موضوعات تقليدية كالمديح، والغزل، والرثاء والهجاء، مع تجنب الأساليب البيانية المعقدة مثل التشبيه أو الإيجاز.

تتقاطع الأزجال مع الموشحات في الهيكل العام، الذي يشمل المطلع والأغصان والأسماط والأقفال والأدوار والخرجة، لكن الفارق الجوهرى يكمن في أن الزجل يكتب كله باللغة العربية {قد تختلط به كلمات أعجمية} بينما خرجة الموشح قد تكون عامية أو أعجمية فحسب. وتأتي خاتمة الزجل غالباً بحكمة أو دعاء مستمد من اللغة الفصيحة، كما جاء في المثال التالي:

لا نسيت إذا زارني حبي

وانجلى همي وزال كربى

قلت له وقتاً أخذ قلبي

قل متى تجين: قال غدا "وغدا للناظرين قريب".

¹ عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الدول العربية 1957، ص52.

وفي موضوعات كالغزل أو المديح يعلن الزجال عن انتهاء قصيدته بإشارة واضحة ،بينما في الرثاء تختتم القصيدة بدعاء يعكس طبيعة الموضوع .وهكذا يجمع الزجل بين البنية الشعرية التقليدية وخصائص فريدة تعكس روح الثقافة الشعبية.¹

فنون الزجل :

تعددت فنون الزجل الأندلسي، مثله مثل القصيدة التقليدية فقد تناول عدة فنون بدءا بالغزل واللهو والمجون مثله مثل الموشح الأندلسي ثم أخذ يتناول وينغمس في فنون الشعر الأخرى من مديح وهجاء ورثاء وفخر وزهد ووصف، ولم يلبث أن راجت سوقه إبان حكم المرابطين الذين لم يفهموا العربية الفصيحة ، بل اقتصر فهمهم على الأزجال لسهولة إجرائها وإغراقها في العامية .

ونورد فيما يلي نماذج على مختلف هذه الفنون بدءا بالغزل :

1/ الغزل:

كان الغزل من أبرز أغراض الزجل ، التي عبر من خلالها الشعراء عن مشاعر الحب والعشق بالغة عفوية عامية مستوحاة من جمال الطبيعة الأندلسية ، ذاكرين جمال محبوبتهم وفيما يلي زجل ابن قزمان يقول فيه:

لو زارني صاحب التفريق قد كان نفيق

حتى نرى مثل ما قد ريت من الأمن

فما حلوا لا تقول سكر و لا عسل

يقبل الروح ولا يدري طيب القبل.²

¹ ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي ص128.

² محمد زكريا عناني ، في الأدب الأندلسي ص 258

2/ وصف الطبيعة :

شارك الزجالون في وصف الطبيعة الأندلسية ، واقتفوا أثر الشعراء والوشاحين في هذا الفن ، ومن أرق أزجالهم التي دارت حول وصف الطبيعة الأندلسية الجميلة زجل " رقيق لمد غليس " بما فيه من تصوير لمحاسن الطبيعة ، ومنه قوله ¹:

ثلاث أشيا في البساتين لس تجد في كل موضع
النسيم والخضر والطير شم وانتزه واسمع
قم ترى النسيم يولول والطيور عله تغرد
والثمار تنثر جواهر في بساط من الزمرد

نلاحظ في هذه القصيدة أنه امتزج وصف الطبيعة في بعض الأحيان في الأزجال الخمر ووصف مجالس اللهو و المجون ، بحيث أدخلوا هذه المجالس في كل الأغراض من غزل ووصف للطبيعة .. وحتى المديح غالبا ما يمتزج هو الآخر بالغزل ووصف الطبيعة والشراب وقد عرف أيضا مدغليس بهذا الفن. وقد بينى الزجل على المدح وحده ، على نحو ما يلقانا به ابن قزمان في زجل يمدح فيه القاضي ابن الحاج ، إذ يقول :

وصل المظلوم لحق وانتصف غني ومسكين
يحضر الإنكار والإقرار ويقع الفصل فالحنين
اجتمع فيه الثلاثة : الورع والعلم والدين
فيزول الحق إذ زال ويدوم الحق إذ دام ²

¹ سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ص 130

² المرجع نفسه ص 132.

3/ النزعة الصوفية الروحانية :

برزت النزعة الصوفية في الأندلس خلال القرن السابع هجري ، وذلك في وقت كانت فيه الإمارات العربية تنهار وتسقط في أيدي الأسبان ، وقد برع عدد من الشعراء والزجالين ، في هذا الفن من بينهم ابن العربي ، وابن سبعين ، والششتري الذي يقول في هذا الزجل :

الله الله هاموا الرجال في حب الحبيب

الله الله معي حاضر في قلبي قريب

ادلل يا قلبي وافرح حبيبيك حضر¹

¹ ديوان أبو الحسن الششتري .

وخلاصة القول ، يعتبر الزجل أحد أبرز الفنون الأندلسية التي ازدهرت في ربوع الأندلس، حيث استخدمه الزجالون كمرآة تعكس نبض الشعب وهمومه، فرحا وحزنا، ممزوجا بإيقاعات موسيقية جذابة أكسبته طابعا شعبيا متميزا، ولم يقتصر تأثيره على حدود الأندلس، بل امتدت جذوره شرقا ليترسخ في المشرق العربي، ولاسيما في مصر، حيث احتضنه الفنانون وأبدعوا فيه، بل ووصل الأمر إلى تفضيله لدا بعضهم عن الشعر الفصيح، نظرا لقدرته على التعبير الصادق والتواصل المباشر مع الجمهور، وهكذا تحول الزجل من فن محلي إلى إرث ثقافي عابر للحدود، يجسد تلاقح الأصالة بالابتكار.

خاتمة

خاتمة:

وبعد هذا المسار البحثي المتواضع، يمكننا أن نستخلص أبرز ما توصلنا إليه من خلال هذه المذكرة، في النقاط الآتية:

لقد سجّل سكان بلاد الأندلس أدهم بحروف من ذهب، وهو ما تجلّى في الأزجال والموشحات على امتداد ثمانية قرون.

انقسم الأدب الأندلسي إلى ثلاث مراحل: أولها كان تقليدًا بحتًا، تلتها مرحلة التجديد، وصولًا إلى المرحلة الثالثة التي تمثل ذروة النضج الفني.

تميز المجتمع الأندلسي بالتنوع، حيث كان مزيجًا من عدة أجناس شملت العرب، البربر، الصقالبة، النصراني، المولدين، اليهود، وأخيرًا الفرس.

يُعدّ الأدب الأندلسي مرآة عاكسة لجمال البيئة الأندلسية وسحر طبيعتها الخلّابة.

حرص أهل الأندلس على ابتكار بعض الألفاظ المعرّبة التي تلائم حياتهم الغنائية الخاصة.

تميّز الأدب الأندلسي بروعة التشبيهات وبراعة الأوصاف، وهي من أبرز خصائصه الفنية.

شهد النثر الأندلسي تطورًا ملحوظًا، إذ كان معظم شعراء الأندلس أيضًا كُتّابًا بارعين، ما انعكس إيجابًا على فنون النثر، خاصة في فن المقامات والرسائل.

ظهرت في العصر الأندلسي أغراض شعرية لم تكن جديدة من حيث الموضوع، إلا أن الشعراء الأندلسيين أولوا لها اهتمامًا بالغًا وطوّروها بتأثير من بيئتهم، ومن أبرز هذه الأغراض: شعر الطبيعة، وشعر الحنين إلى الوطن.

عرف العصر الأندلسي ولادة فنون شعرية مبتكرة، مثل الموشحات والأزجال، والتي أصبحت من أبرز سمات هذا الأدب.

تأثر شعراء الأندلس بشعراء المشرق في الأسلوب والموضوعات، ويتجلّى هذا التشابه في ما بين ابن هانئ الأندلسي ونظيره المتنبي، إذ يُعدّ الأول متنبّي الغرب، والثاني متنبّي الشرق.

تأثرت الفلسفة الأندلسية بأفكار ابن حزم، خاصة في كتابه "طوق الحمامة" الذي عبّر فيه عن فلسفة الحب.

انعكست الحضارة العربية على الحضارة الأوروبية في عدة مجالات، وقد لمسنا هذا التأثير الواضح بين الحضارتين، لا سيما في مجالي الأدب والشعر، وكذلك في مجال الطب.

لم يقتصر التأثير على هذه المجالات فحسب، بل طال أيضًا اللغة، إذ كان للغة العربية أثر واضح في اللغات الأجنبية، ما أدى إلى انتقال عدد من المفردات إليها دون ترجمة.

وعليه، فإن هذه الدراسة، وإن لم تُحط بكل جوانب الموضوع، إلا أنها تسعى إلى إعادة الاعتبار لهذا النتاج الأدبي الغني، من خلال تفكيك ملامحه، ورصد تفاعلاته الداخلية والخارجية، بوصفه أدبًا تتقاطع فيه الذائقة العربية مع التجارب الإنسانية الأوسع.

وفي الختام، لا يسعنا إلا القول إننا حاولنا الإمام بجوانب موضوعنا هذا، فإن أصبنا فمن الله وبتوفيقه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، ونسأل الله العفو والمغفرة، وأن يجزي كل من ساهم في إنجاز هذا العمل خير الجزاء.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-الكتب: (المصادر)

1. ابن بسام الشنتريبي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1979، قسم 1، مج 1 .
2. ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ط 1، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر، دت.
3. حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، منشورات المكتبة البوليسية ، الطبعة 12 ، بيروت لبنان 1978 م .
4. شمس الدين بن خلكان ، وفيات الأعيان ، و إنباء أبناء الزمان ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مج 4 ، ص 424
5. عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 4.
6. الواحدي : شرح ديوان المتنبي ، تحقيق عمر الفاروق الطباع .

2-المراجع:

1. إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، ط 1، 1998م .
2. ابن سينا الملك ن دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق ونشر جودة الركابي ، دمشق ، 1949/1368.
3. إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، دار الشروق ، عمان ، ط 1، سنة 1997م .
4. أحمد بدر : تاريخ الأندلس في القرن الرابع هجري ، أطلس للنشر و التوزيع ، 01 يناير 1983 .
5. أحمد رحاحلة ، أثر التنوع الثقافي في الأندلس على فن الموشحات الأندلسية ، دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 48 ، العدد 4، 2021.
6. إلى كتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الأندلس 92-897 هـ ، د. منجد مصطفى بهجت .

7. اميليو غرسيه غومث ، مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة الدكتور طاهر أحمد مكي ، دار المعارف - القاهرة - الطبعة السادسة 1996 م / 1418 هـ .
8. آنخل جنثالث بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1955 .
9. جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، دار المعارف 1119 ، كرونيش النيل ، القاهرة ، الطبعة الثامنة .
10. جودت الركابي ، كتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، منجد مصطفى بهجت .
11. حسام جميل النايف ، أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية .
12. حسين مؤنس ، تاريخ الفكر الأندلسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1955.
13. زاهد علي ، تبين المعاني فيق شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي ، ط 2 ، 135 هـ .
14. سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الأولى 2012 م / 1433 هـ ، عمان ، الأردن.
15. سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الطبعة الأولى ، 2012 م ، 1433 هـ.
16. سعيد أحمد هـ بيومي: أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها ، مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة، 2002 .
17. الطاهر مكي ، في الأدب المقارن ، دراسات نظرية وتطبيقية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د،ت.
18. عبادة كحلية : تاريخ النصارى في الأندلس ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993 م .
19. عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوربية ، دار النشر : مؤسسة هنداوي ، 2014 م .
20. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق المستشرق كاتر مير ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت ، عن طبعة باريس سنة 1858 م ، الجزء الثالث.
21. علي محمد سلامة ، الأدب العربي في الأندلس : تطور موضوعاته وأشهر أعماله ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، 1998 .
22. غومس غارسيا ، الشعر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية.

23. فايز عبد النبي فلاح القيسي ،أدب الرسائل في الأندلس في القرن 5 هـ ، دار البشير للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن -الطبعة الأولى 1409هـ/1989م .
24. فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ،الطبعة الأولى 2007 م.
25. فوزي عيسى ، في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية للطبع والتوزيع سوتير ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 2008م.
26. لويس معلوف ، المنجد في اللغة ، دار المشرق ، ط 33 ، بيروت 1992 .
27. محمد زكريا عناني ، الموشحات الأندلسية ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يضرها المجلس الوطني للثقافة ، الكويت تاريخ النشر 1980 .
28. محمد زكريا عناني ، في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية 1995 م .
29. محمد عباسه ، الموشحات والأزجال وأثرها في شعر التروبادور ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع مستغانم ، الجزائر ، ط1، 1433هـ/2012م.
30. محمد عبد المنعم خفاجي ،الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ، بيروت ،لبنان ،1992م .
31. محمد مفيد السثوباشي، رحلة الأدب العربي إلى أوروبا ، دار المعارف ، مصر ، 1968 م
32. منجد مصطفى بهجت ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار الياقوت (ط، ن ، ت) عبدلي ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية، 2006 .

3- الدواوين

1. ديوان ابن خفاجة
2. ديوان أبو الحسن الششتري
3. سيد غازي ، ديوان الموشحات الأندلسية .

4-المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر (د.ت) بيروت (د.ت) مج 11 .
2. دار الطراز لابن سينا الملك .

5-المجلات:

1. أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية ، منتدى أحلى ، الأربعاء 21 مارس 2012 م ، 12:42 ، تاريخ الإطلاع : 15 مايو 2025 .
2. إسرائ حجازي ، بحث عن شعر الطبيعة في الأندلس ، مجلة بيت القصيد ، نشر في 27 يوليو 2021 ، آخر تحديث 22 ديسمبر 2022، اطلع عليه يوم 11 ابريل 2025م سا 12.25
3. حسام جميل الناييف ، أثر الحضارة العربية في النهضة الأوربية ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 34 ، العدد الثاني ، 2018 م .
4. حسين أحمد جمعة ، شعر الطبيعة عند الشاعرين عيسى عبد الله وعبد الواحد حسن السنوسي دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات الأفريقية ، مجلد 45، العدد 4، الجزء 2 ، أكتوبر 2023 م .
5. خلود الفزارية ، " دور الثقافة والفنون العربية في رسم حضارة الغرب " ، جريدة عمان ، 12 مايو 2023 ، تاريخ الإطلاع : 14 مايو 2025.
6. سمير عمرو ، عبد الغني الطباخي ، 2007 ، ابن سينا أمير الأطباء ، حوليات الطب السعودي اطلع عليه بتاريخ : (11/05/2025) .
7. سمير عمرو و عبد الغني الطباخي (2007) ، أبو القاسم الزهراوي (البوكاسيس) : رائد الجراحة الحديثة. حوليات الطب السعودي ، أطلع عليه في : (10/05/2025).
8. صحيفة الأيام ، الحنين إلى الوطن في الشعر الأندلسي ، الأحد 18 نوفمبر 2025، أطلع عليه بتاريخ 21 مارس 2025 /س 14:34.
9. صلاح الدين و انس ، روح التسامح و التعايش الديني بين المسلمين وغيرهم في الأندلس ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة غرداية _ الجزائر ، مجلد 24 ، العدد الأول ، 10 يناير 2024 .
10. عبد الرحمن بدوي، [أثر الأدب العربي في تكوّن الشعر الأوروپي](#)، الموسوعة الإسلامية، -16- 2012-6، اطلع عليه يوم : 10 نيسان/أبريل 2025، سا 15:32.

11. عبد الوهاب عزام: الألفاظ العربية في اللغات الإسلامية غير العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة: 1957 .
12. لحيدان ناصر محمود اللحيان ، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع ، الجزء الرابع ، 2019م.
13. محمد عباسة ، اللهجات في الموشحات والأزجال ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، العدد 9 ، 2009 .
14. مدونات مجد مالك خضر ، الثقافة العربية وتحديات الحداثة ، 22 / 8 / 2016م ، أطلع عليه بتاريخ : 12 / 05 / 2025 م .
15. موسوعة الجزيرة نت ، ابن سينا .. الشيخ الرئيس الذي صار من أعلام الطب في سن ال 16 ، آخر تحديث : 21 أوت 2023 ، تاريخ الإطلاع : 14 ماي 2025 .

6- الرسائل الجامعية والأطروحات:

1. خميسي حميدي ، الحركة الأدبية في اشبيلية لزمان بني عباد ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، دمشق .
2. سامية جباري : الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب ، عصر الطوائف والمرابطين ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2007 .
3. فتيحة دغموش ، تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة ، رسالة لنيل مقدمة شهادة الماجستير ، 2005/2004.
4. مناهج جامعة المدينة العالمية ، كتاب الأدب المقارن ، مرحلة الماجستير .
5. نميش أسماء ، الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوربي القديم شعر التروبادور أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ، جامعة الجليلي ليايس ، سيدي بلعباس ، 2015/2016.
6. الراهب الإسباني ميغيل أسين بلاثيوس (1871 . 1944) مستشرق حصل على الدكتوراه عن رسالة عن الغزالي، التي عدّها وأصدرها بعنوان «الغزالي.. العقائد والأخلاق والزهد.»

7- الملتقيات:

1. زهراء عطايي كوزاني ، (2010/11/15) النشر العربي وأعلامه ، ديوان العرب أطلع عليه بتاريخ 2025/05/05 .
2. سيد عبد الماجد الغوري ، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب ، بحث مقدم في مؤتمر الحج المعاني الحضارية في الإسلام ، 11 ذو الحجة 1440هـ/الموافق ل12 أغسطس 2019 م .
3. عبد العزيز الأهواني ، الزجل في الأندلس ، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، جامعة الدول العربية 1957 .
4. مقرر أدب أندلسي ، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي ، جامعة أم القرى ، كلية الآداب بجامعة القنفذة ، لطلاب برنامج الانتساب الفصل الجامعي الأول 1439هـ .
5. وجدان المقداد ، مقرر النشر الأندلسي ، طلاب السنة الثالثة من قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة حماة ، سوريا ، 2016/ 2017 م .
6. بصالح خديجة ، تأثير الثقافة العربية الأندلسية في الفكر الأوربي ، قسم اللغة والأدب العربي جامعة عين تموشنت .

ملخص الدراسة:

تتناول هذه المذكرة موضوع "تفاعل الثقافات وأثرها على الأدب الأندلسي"، حيث تسلط الضوء على البيئة الثقافية المتنوعة التي نشأ فيها هذا الأدب، نتيجة التعايش بين العرب، الإسبان، اليهود وغيرهم في شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد ساهم هذا التفاعل الحضاري في إنتاج أدب متميز، اتسم بالغنى في الشكل والمضمون، وظهر ذلك من خلال تطور الأشكال الأدبية، والتوازن بين عناصر التقليد والتجديد. كما تعرض المذكرة للدور الذي لعبه الأدب الأندلسي في التأثير على الآداب الأوروبية، خاصة من خلال انتقال مظاهره الفنية واللغوية إلى الثقافات المجاورة. وتُبرز الدراسة أن الأدب الأندلسي لم يكن مجرد انعكاس للواقع المحلي، بل كان قناة فعالة لتبادل ثقافي عابر للحدود، له أثر عميق في تطور الأدب العربي والغربي على السواء.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الأندلسي، تفاعل الثقافات، التنوع الحضاري، الزجل، الموشحات، التأثير الأدبي، التبادل الحضاري، الأدب العربي، الأدب الأوروبي، المثاقفة.

Study Summary:

This thesis explores the topic of "*Cultural Interaction and Its Impact on Andalusian Literature*," highlighting the diverse cultural environment in which this literature emerged. It resulted from the coexistence of Arabs, Spaniards, Jews, and others in the Iberian Peninsula. This cultural interaction contributed to the creation of a unique and rich literary output, both in form and content, reflected in the development of literary styles and the balance between tradition and innovation. The study also addresses the role of Andalusian literature in influencing European literatures, particularly through the transfer of its artistic and linguistic features to neighboring cultures. The research emphasizes that Andalusian literature was not merely a reflection of local reality but a vital channel for cross-cultural exchange, significantly impacting the evolution of both Arab and Western literature.

Keywords:

Andalusian literature, cultural interaction, cultural diversity, zajal, muwashshah, literary influence, civilizational exchange, Arabic literature, European literature, acculturation